قمر على الحمراء

دراسات لسانية أندلسية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

فهمي ، خالد

قمر على الحمراء: دراسات لسانية أندلسية / أ. د. خالد فهمي

ط١ - القاهرة: دار الوفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٨.

١٧٦ ص، ٢٤سم.

تدمك ٠ ٠٦٨٥ ١٥ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - اللغة العربية ، علم .

أ- العنوان

تاريخ الإصدار: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

حقوق الطبع: محفوظة

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٤٩٨٨م

الترقيم الدولي: ISBN: 978 – 977 – 15 – 0685 – 0

دار الوفاء

دار النشر للجامعات

قمر على الحمراء

دراسات لسانية أندلسية

أ. د/ خالد فهمي

إهداء

إلى الطاهر مكي

وعبد الهادي زاهر

ومحمد عبد الله عنان

ومحمود علي مكي

أربعة ممن زرعوا حب الأندلسيات في النفوس

خالد فهمي

المقدمة

اللّهم لك الحمد كله، لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت! اللّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك! اللّهم إني أسألك النعيم المقيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف! اللّهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت عنا! اللّهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين! [حديث حسن، أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء حديث ١٠٧٥ (٢/ ١٣٠٢)، تحقيق د. محمد سعيد بن محمد حسن، دار البشائر الإسلامية، بيروت (١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م)]، وبعد:

فهذا الكتاب ثمرة الاشتغال الواجب بحق قطعة من أرض الله تعالى، هي الأندلس، طالما دانت وتعبدت له، وخطا على ثراها قوم نهضوا فخدموا دينه وشريعته وكتابه العزيز، وسنة رسوله الكريم ﷺ من غير ما طريق، ولا سيما طريق خدمة اللسان الذى اختاره سبحانه للتنزيل والبلاغ الأول.

وهذا الباب المعرفي – فيما نرى – يتجاوز حدود التاريخ إلى الواقع؛ ذلك أنه يقف عند الدرس اللساني الذي أسهم به علماء اللغة وفقهاؤها الأندلسيون، محاولًا بيان حدوده، ومناهجه، وخصائصه، وغاياته ومقاصده ووظائفه.

إن هذا الكتاب - بما يضمه من بحوث - يشتبك مع التأريخ لقطاعات من الدرس اللساني الأندلسي التراثي من جانب، ويشتبك مع فحص المنجز المعاصر الذين نهض به اللسانيون العرب المعاصرون لهذه السهمة الأندلسية اللسانية التراثية، واستيضاح حدودها، وخصائصها، وعلاماتها المادية من جانب ثان، ويشتبك مع دراسة أشكال مختلفة لبحوث لسانية تحلل حدود عناية الأندلسيين في الدراسة اللغوية للعربية، وفحص مدى تأثير الإسلام، ومرجعيته المركزية في تمديد حدود هذه الدراسة، وتطويرها، وضبط منهجيتها.

وقد عنونت له بعنوان (قمر على الحمراء ودراسات لسانية أندلسية)، وسوف يرى القارئ الكريم توزع بحوثه أو فصوله على المحاور التالية:

أولًا: فحص دراسات المعاصرين لمنجز اللسانيين الأندلسيين؛ في محاولة لنقدها وتقويمها، والكشف عما توصلت إليه من نتائج.

ثانيًا: دراسة الأعمال المرجعية، ولا سيما من نوع المعاجم التي صنعها المعاصرون، بوصفها أعمالًا علمية خادمة لتاريخ علم اللغة، ورجاله ومصنفاته في الأندلس.

ثالثًا: دراسة بعض أبعاد العناية الأندلسية اللسانية بخدمة لغة الأصول العلمية للإسلام، ولا سيما ما جاء من مصنفات حول لغة كتاب الموطأ، وصحيحي البخاري ومسلم، ومناهجها ووظائفها.

رابعًا: نقد بعض التحقيقات التي نهض بها المختصون المعاصرون في التراث الأندلسي، بوصف ذلك النقد مقدمة على طريق تطوير النشر النقدي أو التحقيق للنصوص الشرعية والأدبية واللغوية والعلمية الأندلسية، بوصفها نمطًا من النصوص ذات الخصوصية المتنوعة.

ويضم هذا الكتاب أربعة فصول هي:

الأول: عناية الأندلسيين والمغاربة بلغة كتاب الموطأ .. حدودها ومصادرها ومناهجها ووظائفها.

الثاني: عناية الأندلسيين والمغاربة بلغة الصحيحين .. حدودها ومصادرها ووظائفها.

الثالث: فرع من الغصن الرطيب .. اتجاهات دراسة اللسانيات الأندلسية في العصر الحديث.

الرابع: حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي (ت ٨٢٩هـ = ١٤٢٥م) .. مراجعة علمية نقدية.

وكنت صنعت مراجعة علمية نقدية لكتاب (التراث الموريسكي المخطوط) للدكتور محمد محمد عبد السميع [نشر مكتبة الإسكندرية، مركز المخطوطات، تصدير: د. إسماعيل سراج، تقديم: د. مدحت عيسى، الإسكندرية، سنة ٢٠١٥م (في ٢١٤ ص/ ١٥ ملحقًا للصور)]، ونشرته بالعدد الثالث من المجلد الأول من مجلة الأندلس، التي تصدر بالقاهرة، وكنت نشرت كذلك بحث العناية بتراجم اللغويين والنحويين الأندلسيين في العصر الحديث في مجلة الأندلس في مج١ سنة ١٤٣٨هـ = ٢٠١٧م.

وفصول هذا الكتاب بعضها جديد لم ينشر في غيره (كما نرى في الفصول؛ الأول والثاني والثالث، وبعضها سبق نشره (كما نرى في الفصل الرابع؛ حيث نشر في مجلة الأندلس، بالقاهرة في المجلد الثاني في رمضان ١٤٣٨ه = يونيو ٢٠١٧م.

ويطمح هذا الكتاب أن يفتح حقلًا معرفيًّا للسانيات الأندلسية على غرار ما تأسس من حقول معرفية عريقة، تشتغل على الأدب الأندلسي، والتاريخ الأندلسي مثلًا.

ويرجع الفضل فى ظهور هذا الكتاب إلى زمرة من الأصدقاء الكرام الذين دفعوا إلى إنجاز بحوثه؛ أذكر منهم أ. د/ أيمن محمد ميدان، الذي يتكرم علي دائمًا بقبول نشر ما أكتبه في هذا المجال في مجلة الأندلس، و أ. د/ محمد عليوة الذي يتفضل عليَّ

بدعم حقيقي.

كما أشكر الأصدقاء الأعزاء د/ مدحت عيسى، ود/ محمد محمد عبد السميع بمكتبة الإسكندرية اللذين كان لهما - بما تفضلا به علي ساعة بكتاب: التراث الموريسكي المخطوط هدية - فضل حفزي على خدمة هذا الحقل الوليد.

أما هي فلم تزل بهجة العقل، ونسمة الصبا في هجير الأيام

خالد فهمي

القاهرة - ربيع الأول ١٤٣٩ه = ديسمبر ٢٠١٧م

الفصل الأول

عناية الأندلسيين بلغة الموطأ: حدودها، ومناهجها، ومصادر دراستها، ووظائفها

./ مدخل: منزلة الموطأ في الأندلس:

لا يتجاوز المرء عندما يقرر أن كتاب الموطأ، للإمام مالك الأصبحي (ت ١٧٩هـ) أكثر من مجرد مدونة حديثية؛ فهو مصدر فقهي، وكلامي، واعتقادي، يقول الشيخ أمين الخولي/ [موطأ مالك، تراث الإنسانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٣]: "إن الموطأ يحتوي ما انتهى إلى مالك مما كان يسمى لعهده: "العلم" ... ويبدو أن هذا العلم الديني النقلي كان في ذلك جملة تصله الأجزاء متداخلة الأقسام لم تتميز فروعها بالأسماء التي عرفت بعد ذلك: من علم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الفقه، والكلام والتصوف، وكذلك احتوى "الموطأ" ... فنونًا مختلفة، قد يكون الطابع الفقهي أبرزها، والمحتكم في جمعها، وفي ترتيبها كذلك ... وفيه فنون من الأعمال والمعارف المختلفة من اجتماعية عملية، إلى خلقية سلوكية بينها كلامية اعتقادية"!

ويشير أمين الخولي إلى تمدد علامات العناية بالموطأ (ص ٣١) في الأقاليم المختلفة، ومنها الأندلس، بطبيعة الحال.

وقد جمعهم جمعًا موجزًا الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في مقدمة نشرته له [الموطأ، كتاب الشعب، القاهرة ١٣٧١هـ = ١٩٥١م، ص ٧].

وتكشف هذه القائمة عن عناية ظاهرة بهذا المصدر العزيز الذي يعد أصلًا للصحيحين، يقول [ص ٥]: "إن الموطأ هو أصلهما، وقد انتهجا منهجه في سائر صنيعه".

وتعد نسخة يحيى بن يحيى المصمودي الليثي الأندلسي ت ٢٣٤هـ من أشهر نسخ الموطأ، "ويراد بها الموطأ على الإطلاق"، على حد تعبير د. عبد الوهاب عبد اللطيف في مقدمة تحقيقه: (موطأ الإمام مالك) [المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ط ٣ سنة ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م، ص ١٧].

وهذه الحفاية الأندلسية بالموطأ تعكس أمرين مهمين جدًّا، هما:

أولًا: ارتباط التأسيس المعرفي للعلوم في الأندلس بمنابعه ومصادره الأولى المركزية في المشرق، والموطأ مصدر مركزي في تاريخ العلم في حضارة الإسلام بامتياز.

ثانيًا: ارتباط تأسيس المجتمع العلمي في الأندلس بالمراكز الكبرى في المشرق التي نهضت بتفجير منابع العلم، وليس كالمدينة المنورة مركز باذخ المكانة في هذا السياق.

ولعل الأولية التصنيفية من جانب والمكانة الروحية والعلمية للمدينة المنورة من جانب آخر هما المسئولان عن هذه المكانة المرموقة للموطأ ومذهب الإمام مالك في بيئة الأندلس الرطيب، وما نتج عن هذه المكانة

الرفيقة من منجز علمي خادم اللغة، هذا المصدر الصحيح من مصادر العلم عند المسلمين.

وبفضل الموطأ ورحلة الرواة والعلماء إلى المشرق للتكوين "صارت الأندلس دار حديث" [الموطأ، للإمام مالك، رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، مقدمة التحقيق (٩/١)].

وبفضل الموطأ برواية يحيى انتعش درس الفقه المالكي في الأندلس، ذلك أنه "أصبح ... مُدَرِّس الفقهاء في فقه الإمام مالك، وعليه معولهم في اقتباس الأحاديث والأحكام" [مقدمة د. بشار عواد معروف تحقيق موطأ يحيى ١/ ٧].

وهذه المكانة الباذخة للموطأ دفعت العلماء إلى شرحه، يقول ابن عبد البر الأندلسي، في مقدمة التمهيد: "وإنما اعتمدت على رواية يحيى بن يحيى المذكورة خاصة؛ لموضعه من أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم، ولكثرة استعمالهم لروايته وراثة عن شيوخهم وعلمائهم" [انظر: مقدمة تحقيق بشار عواد معروف لموطأ يحيى الليثي ١/ ٧، والتمهيد لابن عبد البر ١/ ١٣، تحقيق أسامة إبراهيم، دار الفاروق الحديثة، القاهرة ٢٠٠٨م].

ومن هذه النقطة تتجلى منزلة هذا المصدر الباذخ من مصادر العلم والفقه، ومنها تتناسل العلامات الكاشفة عن منزلة الموطأ في الأندلس، في تطوير الكثير من حقول المعرفة.

وقد أنتجت هذه المنزلة السامية جهودًا متنوعة في اللغة توخت خدمته، وتيسير النفع به في الحقول المعرفية المختلفة.

وقد توزعت هذه العناية جغرافيًّا، فظهرت حركة لغوية تعتني به في المشرق العربي اتخذت مسارين ظاهرين هما:

أ. مسار خدمته اللغوية في سياق عام مختلط بغيره، كما نرى في شرح بعض غريبه عند أبي عبيد وابن قتيبة، وإعراب بعض أحاديثه كما عند ابن مالك.

ب. مسار خدمته بالشروح عامة، اعتنت بشروح الفقه والحديث من مثل كتاب تنوير الحوالك للسيوطي (ت٩١١هـ).

١/ حدود العناية بلغة الموطأ:

إن متابعة فحص حدود العناية بِلغة الموطأ تكشف عن تمدد خريطة هذه الحدود، وتنوع تضاريسها وفي الأندلس على وجه خاص، وفي تاريخ الثقافة العربية بوجه عام، وهو ما يمكن رصده وبيانه فيما يلي:

١/ ١ العناية المختلطة.

١/ ٢ العناية المستقلة.

١/ ٣ العناية برواية الأعمال المشرقية، وإقرائها في الأندلس.

١/١

العناية المختلطة بلغة الموطأ في الأندلس

تمددت صور العناية بلغة الموطأ في الأندلس مختلطة بغيرها من صور العناية بمصادر حديثية أخرى.

وظهرت هذه العناية في الصور التالية:

(أ)

العناية بشرح غريب الموطأ في سياق معاجم غريب الحديث بشكل عام

تمثل هذه الصورة الشكل الأكثر عمومية في ميدان العناية بشرح غريب الموطأ في الأندلس، وهي تتجلى في شرح عدد من الكلمات الغريبة الواردة في نصوص أحاديث وردت في الموطأ.

ومن الأعمال التي نهضت بذلك ما يلي:

٣٠٢هـ/ كتاب الدلائل في غريب الحديث، لأبي محمد القاسم بن ثابت السرقسطي ت ٣٠٢ هـ الذي يظهر من تحليل مادته العناية بشرح بعض الغريب الوارد في الموطأ، وهو ما يمكن ملاحظته في التعليق على معاني بعض كلمات الأحاديث الواردة فيه تحت أرقام: (١١/ ١٠٥/ ١١٧/ ٤٤٦/ ٥٦٧/ ٦٢٩) [كتاب الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي، تحقيق د. محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م].

٢. ٤٥٤هـ/ القرطين، لابن مطرف الكناني القرطبي الطرفي، ت ٤٥٤هـ.

وهذا الكتاب إعادة ترتيب لمنجز ابن قتيبة ٢٧٦هـ في كتابيه: غريب القرآن، ومشكل القرآن [دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ].

وابن قتيبة لغوي مشرقي اعتنى في تفسيره لغريب الحديث ببعض غريب الموطأ، وهو ما يمكن أن نجد بعضًا لصداه في تفسيره لغريب القرآن ومشكله، مما يمكن أن يكون قد استمر في القرطين!

(ب) العناية بشرح غريب الموطأ في سياق المعجمات الفقهية للمالكية في المغرب والأندلس

وضع المالكية بعض المعاجم التي توجهت إلى الألفاظ الفقهية بالشرح لما يتدوال في المصادر الفقهية المالكية؛ كالموطأ، والمدونة، وغيرهما.

ومن هذه المعجمات التي عرضت بالشرح والتفسير لبعض غريب الموطأ - بحكم انتمائها للمعجمات الفقهية المالكية - ما يلي:

١. ق ٦هـ/ غرر المقالة في شرح غريب الرسالة، لابن حمامة المفراوي [تحقيق د. الهادي حمو، ود. محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط٢ سنة ١٩٩٧م] والمفرواي له شرح على غريب الموطأ يحيل عليه كثيرًا في هذا الكتاب، ومن ذلك في التعليق على معنى: (الخسوف) في غرر المقالة [ص ١٤٦] "وقد أشبعت القول في هذا في غريب الموطأ".

ورسالة أبي زيد القيرواني ت ٣٨٦هـ من مصادر الفقه المالكي التي تستصحب الموطأ بلا شك، وهو ما يفسر حضور لغة الموطأ فيها، ويفسر وجه العناية بها في أعمال المفرواي المتعددة، سواء ما شرحه لغريب الموطأ أو شرحه لغريب المدونة، أو شرحه لغريب الرسالة.

٢. ٨٩٤هـ/ شرح حدود ابن عرفة، المعروف بالهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، للرصاع التلمساني التونسي، ت ٨٩٤هـ. [تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م].

ومختصر ابن عرفة الورغمي ت ٨٠٣هـ مصدر فقهي مالكي معتبر، وهو ما يحكم باستصحابه نصوص الموطأ؛ مما يجعل شرح الرصاع على حدوده واقع بالضرورة في تفسير عدد من نصوص الموطأ، وشرحها لغويًا.

وهو ما يظهر الإشارات إلى الإمام مالك في المواضع التالية (١/ ١٨٨؛ ٢٠١؛ ٢٢٣؛ ٢٤٢؛ ٢٦١؛ ٢٦٤؛ ٢/ ٣٧٩؛ ٣٩٠؛ ٤١٢ وغيرها) [انظر: شرح حدود ابن عرفة ٢/ ٧٠٧].

٣. ق٩هـ/ كتاب شرح غريب ألفاظ المدونة، للجبي، ت ق٩هـ.

[تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٥م].

وقد تتبع الجبي الألفاظ الغربية في المدونة، وشرحها وفسرها، والمدونة مصدر عريق من مصادر الفقه المالكي وثيقة الصلة بالموطأ. وقد أشار

المحقق [ص ٩٣] إلى أن الجبي نقل بعض شروح مالك على غريب الموطأ في هذا الكتاب.

إن هذه الأعمال اللغوية تكشف عن نمط من العناية بلغة الموطأ في بيئة المغرب والأندلس تعيينًا، وهي أعمال تركز جهدها على تفسير بعض غريب الموطأ بالأساس، وإن انضم إليها نمط عناية بتفسير بعض الألفاظ ذات الصبغ المصطلحي الفقهي والأصولي المالكي.

ولكن هذه الأعمال تبقى مجرد إشارات سريعة كاشفة عن تنوع وجوه العناية بلغة الموطأ في مجالي العربية، والاصطلاح الفقهي.

ويبقى المنجز الأبرز ماثلًا في الجهود التالية فيما بعد.

(ج)

العناية بشرح غريب الموطأ كاملًا في المغرب والأندلس في سياق معجمات غريب مدونات حديثية بعينها

منذ وقت مبكر تعلقت جهود نفر من اللغويين المغاربة والأندلسيين بكتاب الموطأ للإمام مالك؛ نظرًا لمنزلته التي استجمعها من جهات متعددة تولدت من صحبته وأوليته، وعلم جامعه، ومنهجه الفقهي، والدار الكريمة التي ظهر فيها، صلى الله على ساكنها.

وتتمثل بدايات العناية العالية بلغته، شرحًا لغريب كلماته، وتبيينًا لعويص إعراب تراكيبه – بتوجيه فضل رعاية خاصة له مع غيره من كتب الصحاح التي أجمعت الأمة على منزلتها.

وفيما يلي بيان لعدد من الأعمال المرجعية المعجمية التي توقفت أمام لغته بالعناية مع ضمه إلى الصحيحين العظيمين؛ صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم.

١. ٥٤٤هـ/ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي السبتي المالكي، ت ٥٤٤هـ [العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، ١٣٣٣هـ].

هذا الكتاب معجم أفرده القاضي عياض لشرح غريب الموطأ وصحيحي البخاري ومسلم، يقول [١/ ٥]: "إن مسيس الحاجة إلى تحقيق ذلك ما تكرر على السؤال في كتاب يجمع شواردها ... ويبين مشكل معناها ... أجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك في الأمهات الثلاثة الجامعة: ***الموطأ، لأبي عبد الله مالك*** بن أنس المدني، والجامع الصحيح، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، والمسند الصحيح، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج؛ إذ هي ***أصول كل أصل،*** ومنتهى كل عمل في هذا الباب"!

وتحليل مقدمة القاضي عياض [١/ ٥] لهذا العمل المرجعي كاشف عن أنه افتتح به بابًا من التصنيف المستقل غير المسبوق الذي أفرد جهده للعناية بهذه الأصول الثلاثة العظيمة.

٢. ٥٦٩هـ/ مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح لغاتها، وبيان المختلف من أسماء رواتها وتميز مشكلها وتقييد مهملها، لابن قرقول الأندلسي، ت ٥٦٩هـ

[تحقيق دار الفلاح، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة قطر، ١٤٣٣هـ = ٢٠١١م].

ويتضح أمر عناية الخاصة بلغة الموطأ في موضعين ظاهرين، هما:

أولًا: خطاب العنوان الذي جاء فيه أن هذا الكتاب في: فتح ما استغلق من كتاب الموطأ ... وإيضاح لغته ... إلخ.

ثانيًا: خطاب المقدمة، يقول ابن قروقول [١/ ١٥٥]: "فبحسب هذه الإشكالات والإهمالات الواقعة في مصنفات الحديث الثلاثة التي هي كف الإسلام الحاوية لمعظم شرائعه وسننه في أحسن تصنيف وأبدع نظام، التي هي ***الموطأ***، وصحيحا البخاري ومسلم - رحمهم الله - انتدبت إلى بيان ما سمح به ذكري، واقتدحه فكري ووعاه حفظي ... واقتصرت على هذه المصنفات المذكورات؛ إذ هي الأصول المشهورات المتداولات بالراوية المتعقبات بالتفقه فيها والدراية؛ فهي أصل كل أصل"!

١/ ٢ العناية المستقلة بلغة الموطأ في الأندلس

وهذا الوجه من وجوه العناية بلغة الموطأ في الأندلس هي أبرز صور الجهد العلمي الذي توجه إلى خدمته لغويًّا، من عدة جوانب هي:

أولًا: الاستقلال التام؛ أي توجهها الكامل لشرح غريب الموطأ غير مختلط أو مزاحم بغيره من كتب الأحاديث الأخرى.

ثانيًا: التنوع المنهجي، على ما سيظهر في مطلب قادم.

ثالثًا: الامتداد الزمني؛ إذ اتصلت جهود العناية بلغة الموطأ وحده حتى العصر الحديث.

وفيما يلي بيان بالأعمال الأندلسية التي توجهت إلى لغة الموطأ بالشرح والعناية:

٢٣٨هـ/ تفسير غريب الموطأ، لعبد الملك بن حسيب السلمي الأندلسي، ت ٢٣٨هـ [تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية،ط١ ١٤٢١هـ= ٢٠٠١م].

٢/ ٢

٤٨٩هـ/ التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه، للوقشي الأندلسي، ت ٤٨٩هـ [تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية ط ١ ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م].

٢/ ٣

٥٢١هـ/ مشكلات موطأ مالك بن أنس، لابن السيد البطليوسي، ت ٥٢١هـ [تحقيق طه بن علي بوسريح التونسي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م].

٢/ ٤

٦٢٥هـ/ الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، لابن سليمان اليفرني التلمساني، ت ٦٢٥هـ [تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م].

٥/٢

١٣٩٤هـ/ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لمحمد الطاهر بن عاشور، ت ١٣٩٤هـ= ١٩٧٣م [اعتنى به د. طه بن علي بو سريح التونسي، دار سحنون، تونس، دار السلام، القاهرة، ط٢ ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م].

٦/٢

ويلاحظ على هذه القائمة ما يلي:

أولًا: الامتداد الزمني، فقد ابتدأت مع بدايات القرن الثالث الهجري وامتدت حتى نهايات القرن الرابع عشر الهجري.

ثانيًا: التنوع الحاصل في معالجاتها للغة الموطأ، فقد توزعت عنايتها على ما يلي:

أ. تفسير الغريب وشرحه.

ب. بيان عويص الإعراب لما يشكل من التراكيب.

ج. بيان المعاني الغامضة لعدد من أساليبه وعباراته.

ثالثًا: توزع العناية بلغته على المحدثين واللغويين معًا.

رابعًا: ظهور النص على استقلال العناية بلغة الموطأ منفردًا من دون مزاحمة غيره من مدونات الصحاح، وهو الأمر الظاهر في عنوانات هذه الكتب جميعًا.

خامسًا: ظهور الوعي بمنزلة الموطأ في المجتمع المعرفي الأندلسي، وأن هذه المنزلة هي التي حملت هؤلاء العلماء على العناية بلغته.

سادسًا: تنوع الوظائف المنشودة من وراء تصنيف هذه الكتب التي تفرغت للعناية بلغة الموطأ.

١/ ٣ العناية برواية الأعمال المشرقية الخادمة للغة الموطأ وإقراؤها في الأندلس

لقد تمددت جغرافية العناية بلغة الموطأ بصورة ظاهرة وانطلقت من المشرق وظهرت ملامح هذه العناية في عواصم علمية مختلفة، في بغداد والشام وغيرهما.

وقد تجلى وجه آخر من وجوه العناية بلغة الموطأ في الأندلس تمثل في الحفاية بالمؤلفات الشرقية، وروايتها، وإقرائها بالأندلس، ومن أشهر هذه المؤلفات التي توجهت إلى شرح غريب الموطأ في المشرق كتاب تفسير غريب الموطأ، لأحمد بن عمران البغدادي، المعروف بالأخفش ت ٢٥٠هـ [تحقيق طه بن علي بو سريح التونسي، وأروى بنت محمد مختار اللافي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ٢٠١٦م].

ومما يبرهن على ذلك أن [ص ٢٩] "أول رواة الكتاب ... هو: يحيى بن عمر الأندلسي ت ٢٨٩هـ وعليه تدور جميع أسانيد الكتاب؛ فالثابت هو أنه الوحيد الذي سمع الكتاب ورواه عن صاحبه".

وهو ما يكشف عن حفاية علماء الأندلس بكل ما يتعلق بلغة الموطأ والانتقال والرحلة في طلب تحصيلها؛ وهو ما يظهر من رحلة يحيى بن عمر الأندلسي لسماع هذا الكتاب من الأخفش بالحجاز، يقول المحققان [ص ٣٠] عنه "وسمع أيضًا بالحجاز وغيرها من: أحمد بن عمران الأخفش"!

وتتجلى هذه العناية الأندلسية بأمثال هذا الكتاب فيما يلي:

أولًا: انحصار طرق روايته في الأندلس من طريقه [انظر تحليل روايات الكتاب في الأندلس، وشجرات هذه الروايات في مقدمة التحقيق، ص ٣٥ – ٣٧].

ثانيًا: انتشار روايته في المشرق من طريق رواية الأندلسيين، فهذا الكتاب في تحليل سند ابن حجر العسقلاني يظهر مرويًّا من طريق يحيى بن عمر الأندلسي [انظر: تحليل شجرة الرواية لسند ابن حجر في مقدمة التحقيق، ص ٣٧].

هذه مسارات ثلاثة للعناية اللغوية بكتاب الموطأ للإمام مالك عناية تامة مستقلة تخصه، وتقف أمامه، وتفسر غوامضه، وغريبه، وتعتني بمشكلاته من جهة اللغة والمعجم والتراكيب والأساليب.

٢/ مناهج الأندلسيين في المؤلفات اللغوية حول الموطأ

تنوعت مناهج علماء الأندلس في المؤلفات اللغوية حول الموطأ؛ بسبب من إرادة خدمة عدد من الوظائف والأغراض المختلفة، وفيما يلي بيان لأظهر هذه المناهج:

٢/ ١ منهج الترتيب الفقهي (= المُوَطَّئي)

يبدو أن شيوع طلب العلم بالموطأ، والإقبال على قراءته، وتحصيل مادته الحديثية والفقهية كان له الأثر الظاهر في تصنيف المصنفات اللغوية حول تفسير غريبه، وإعراب عويص تراكيبه، وحل مشكلات أساليبه؛ ذلك أن تصنيف هذه المصنفات راعى منهج ترتيب أبواب الموطأ، وهو ما يحمل

على القول إن جمهرة من هذه الأعمال اللغوية كان بهدف مساعدة الطالبين الذين يقبلون على قراءته، ودراسته بتيسير لغته.

ولعل ما يؤكد ذلك هو تصحيحه كثيرًا من هذه المصنفات اللغوية حول الموطأ على طريقة السؤال والجواب، وهو نوع خاص من التأليف يعتمد على السؤالات من الطلاب والجوابات من الأسانيد، وهو نمط تأليفي مبكر جدًّا عند المشارقة ترى أمثلة في غير مجال معرفي، من مثل: سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا (٦٨هـ = ٦٨٧م)، وسؤالات أبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ = ٨٦٨م) للأصمعي (٢١٦ = ٨٣١م)، وهذا النمط التأليفي يعزز الزعم بظهور هذا المنهج لأغراض تيسير التحصيل، وشيوع إقراء هذا المصنف العظيم، والإقبال على تعلمه.

ومن الكتب اللغوية التي رتبت أبوابها على وفاق أبواب الموطأ ما يلي:

٢/ ١,١

كتاب تفسير غريب الموطأ، لابن حبيب السلمي (٢٣٨هـ = ٨٥٢م)، يقول محققه [١/ ١٥٥] "يشتمل الكتاب على مسائل مشكلة من "الموطأ" ابتدأها المؤلف من بداية "الموطأ" إلى نهايته؛ أي من كتاب (وقوت الصلاة) إلى كتاب (أسماء النبي، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو آخر الموطأ والتزم فيه رواية يحيى بن يحيى الليثي، غالبًا، وهو معاصر له في بلده الأندلس ... ألفه على طريقة السؤال والجواب".

وموجز بناء الكتاب قائم على رعاية ما يلي:

أولًا: البنية الكبرى، رتبت أبواب الكتاب على ترتيب أبواب الموطأ.

ثانيًا: البنية الصغرى، يورد في كل باب السؤال عن معنى اللفظ الغريب، ثم يورد نص الحديث المتضمن لهذا اللفظ المسئول عنه، ثم جواب بن حبيب السلمي.

وهو الأمر الذي يوضحه المثال التالي [ص١٨٣]:

"***وسألنا*** عبد الملك بن حبيب عن (التطفيف)".

في ***حديث*** مالك الذي رواه عن يحيى بن سعيد: "أن عمر بن الخطاب انصرف من صلاة العصر، فلقي رجلًا عند خاتمة البلاط لم يشهد العصر، فقال له: ما حبسك عن صلاة العصر؟ فذكر له الرجل شيئًا فقال: طففت".

قال عبد الملك: التطفيف: النقصان؛ ألا ترى أنه يقال: لكل شيء وفاء وتطفيف، ومنه قوله الله عز وجل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [سورة المطففين/ ١]، يعني: للناقصين الكيل والميزان ... والتطفيف: التأخير لها، وإن كان في وقتها؛ وذلك أن سنتها تعجيلها في أول وقتها في الشتاء والصيف للأئمة والجماعات في المساجد وللعامة جميعًا، به كان العمل وجاء الأثر".

وتحليل هذا النموذج كاشف عن حزمة من العلامات الحاكمة لمنهج بناء البنية الصغرى للعمل هي:

أ. البدء بالسؤال عن المسألة اللغوية: التثنية بالجواب بعد ذكر نص الحديث المشتمل على المسألة اللغوية محل السؤال عنها.

ب. إيراد الشواهد المثبتة صحة جواب السؤال، وقد كان الشاهد هنا من الكتاب العزيز.

ج. إيراد تفسير اللفظ الغريب سياقيًّا، وهو هنا تفسير (التطفيف) بتأخير وقت الصلاة ولو في وقتها، وهذا التفسير السياقي اعتمد على السياق الخارجي الذي استدعي ما كان عليه العمل في السنة، وورد به الأثر.

والتنبه إلى استفتاء السياق عند التفسير مسألة قديمة جدًّا في التصنيف في الغريب.

وكذلك التنبه إلى إيراد النص الذي يشتمل على اللفظ الغريب المسئول عنه منهجية قديمة جدًّا في التصنيف في الغريب.

٢/ ١,٢ كتاب التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه، ومعانيه، للوقشي الأندلسي (ت ٤٨٩هـ = ١٠٩٥م):

وهذا الكاتب بنى كتابه هذا على رعاية ترتيب أبواب الموطأ كذلك، يقول محققه [١/ ٨٠]: "سار أبو الوليد الوقشي في تأليف كتابه على ***منهج*** نحى فيه منحى التصحيح والضبط لكتاب الموطأ، ***وشرح ما أبهم من الألفاظ والتراكيب والمعاني*** بشكل مختصر موجز، فهو تقريرات وإشارات إلى مواضع مشكلة من الموطأ؛ فيشرح لفظة ... ويوجه إعراب مشكل "سائرًا في كل ذلك على وفاق ترتيب الموطأ مبتدئًا كتابه بباب (وقوت الصلاة) ومنتهيًا بباب (أسماء النبي ﷺ)".

وأما بنية الكتاب الصغرى عنها المثال التالي [١/ ١٣١]:

"وقوله: "إن رجلي لا تحملانني" كذا الرواية بنونين؛ الأولى: علامة الرفع، والثانية: نون الضمير التي تسمى نون الوقاية. وفي بعض النسخ: "لا تحملاني" بنون واحدة، وهو جائز؛ لاجتماع النونين، كما حذفت في قوله تعالى: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي﴾ [سورة الأنعام/ ٣] ... ورواه بعض الفقهاء: "إني رجلاي"، وهو يخرج على وجهين: أحدهما: أن تجعل "إن" بمعنى نعم، وترفع رجلاي بالابتداء.

والثاني: على لغة بلحارث يجعلون المثنى بالألف في الأحوال كلها".

ويتضح من تحليل هذا النموذج العلامات التالية:

أ. إيراد قطعة الحديث المتضمنة الإشكال اللغوي أو النحوي.

ب. تفسير الموضع الشكل وإعرابه.

ج. إيراد الشواهد المعجمية أو اللغوية الداعمة للتفسير أو الإعراب.

ومما يلحظ على عمل المصنف في الكتاب هو استيفاء الروايات المختلفة لموضع الإشكال والغموض، وهو عمل مبنى على تقنية تحقيقه تتعلق بحمع النسخ، وجرد الروايات.

٢/ ٣,١ مشكلات موطأ مالك بن أنس، المنسوب لابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ = ١١٢٧م):

بعيدًا عن الشكوك التي تحيط بنسبة هذا الكتاب إلى ابن السيد البطليوسي، فقد بناه صاحبه على وفاق أبواب الموطأ يقول المحقق (ص

١٠): "اختار (المؤلف) بعض الألفاظ من أبواب مختلفة رأى منها ما هو قمين بالشرح والتوضيح، وتحقيق القول فيها. وكان عمله ذلك ***متماشيًا مع نسق أبواب*** الموطأ"؛ فبدأ الكاتب من كتاب وقوت الصلاة، ثم كتاب الطهارة، وصولًا إلى آخر كتاب من الموطأ، وهو كتاب الجامع".

ومن الأمثلة الكاشفة عن البنية الصغرى، وبناء معلومات التعليق على ما يشرحه من الألفاظ الغربية [ص ١٧١]: "السيراء: ضرب من الثياب المخططة ويقال: إنها ثياب مضلعة بالقز.

وقال الخليل: السيراء: الحرير المحض.

وقال غيره: ليس بحرير محض.

ويجوز أن يقال: حلة سيراء [بتنوين حلة]؛ فتكون سيراء صفة للحلة. وإن شئت تفسيرًا أو تمييزًا. ويجوز أن يقال: حلة سيراء على الإضافة، كما يقال: ثوب خز [بتنوين ثوب وخز معًا] وثوب خز [على الإضافة].

ويتضح من هذا النص العلامات التالية:

أ. تعيين الكلمة الغريبة محل طلب التفسير.

ب. تفسير الكلمة الغريبة.

ج. إيراد الآراء المختلفة في تفسيرها.

د. بيان الآراء النحوية في طرائق استعمالها التركيبية.

٢/ ٤,١ الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، لابن سليمان اليفرني (ت٦٢٥هـ = ١٢٢٧م):

يتميز هذا الكتاب - دون غيره مما سبقه من كتب حول لغة الموطأ - بالنص على منهج بنائه، في موضعين ظاهرين جدًّا، هما:

أولًا: العنوان الذي تضمن الإشارة إلى منهج بنائه عندما أشار إليه بعبارة: "على الأبواب"! وهو يقصد بها ترتيب شرح الغريب، وبيان إعراب ما توجه إلى إعرابه من تراكيب الموطأ على وفاق ترتيب أبوابه.

ثانيًا: المقدمة التي قال فيها [١/ ٣]: "هذا وعزمي في كتابي هذا على اقتضاب ما تضمنه كتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار) من غريب الموطأ، وإعرابه خاصة ... ورتبته على الأبواب ترتيب الكتاب (يقصد الموطأ)".

وقد بين السر وراء انتهاج هذا المنهج في بناء الكتاب، وترتيب أبوابه، وهو خدمة الغرض التعليمي، والتحصيلي، يقول [١/ ٣]: إن تأليفه الكتاب جاء؛ ليكون كالمعيد لطالبه، والكالمقتضب لمريده، فأعفيه من مشقة الطلب، وأخلصه من عبء تصفح ما ليس له في تصفحه أرب، ورتبته على الأبواب ترتيب الكتاب".

ومن الأمثلة الكاشفة عن منهجه في إيراد المعلومات التي يعلق بها على غوامض الألفاظ، ومشكلات الأعاريب: [١/ ٤٠٧]:

"وقوله: "واقتصروا على قواعد إبراهيم" [في باب ما جاء في بناء الكعبة]؛ أي: قصروا عنها. وقواعد البنيان: أساسه، واحدتها: قاعدة، أما قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [سورة النور/ ٦٠] هن: اللواتي قعدن عن الحيض، فواحدهن: قاعد بغير هاء. والكوفيون يعللون هذا بأن يقولوا: لما كان القعود – الذي هو الجلوس – يشترك فيه المذكر والمؤنث فصل بينهما بالهاء، فقيل للرجل قاعد، وللمرأة قاعدة. ولما كان القعود عن الحيض لاحظ فيه للمذكر لم يحتج إلى فرق.

وهذا خطأ عند البصريين؛ لأنا وجدنا صفات لا تخفى يشترك فيها المذكر والمؤنث ولم يفرق بينهما بالهاء؛ كقولهم: رجل عاشق، وامرأة عاشق ... والقول فيه عند البصريين: أن ما جاء منها بالهاء فهو مبني على الفعل (= اسم فاعل) وما جاء بغير هاء فهو بمعنى النسب، فإذا قالوا: امرأة عاشقة بنوها من عشقت ... ومن قال: امرأة عاشق فالمعنى: ذات عشق".

ويتضح من تحليل هذا النموذج العلامات التالية:

أ. تعيين قطعة الحديث محل البيان تفسيرًا أو إعرابًا.

ب. الخوض في الشرح والتفسير والإعراب.

ج. الاستشهاد على ما يورده من شروح وتفسيرات.

د. استدعاء ما يمكن أن يكون مثار لبس ودهم، ورد وتفسيره دفعًا للتوهم، وطردًا للبس. وهذا من علامات العناية بالوظيفة التعليمية.

هـ. إيراد الآراء المختلفة في المسألة محل الشرح والتفسير، وعرضها.

و. ترجيح الرأي المختار، والتعليل للاختيار.

٢/ ٥,١ تفسير غريب الموطأ، لأحمد بن عمران الأخفش (٢٥٠هـ = ٨٦٤م):

سبق أن ظهر أن هذا الكتاب لم يعرف ويشيع إلا من رواية الأندلسيين، وقد بناه صاحبه على متابعة ترتيب الإمام مالك في الموطأ.

ومما يسلكه في مرة الجهود الأندلسية أنه يوشك أن يكون تأليفًا مشتركًا بين يحيى بن عمر الأندلسي، وأحمد بن عمران الأخفش؛ ذلك أنه صنف على طريقة السؤالات والأجوبة، وذلك واضح في بعض عنوانات هذا الكتاب التي احتفظت بها بعض مخطوطاته؛ فقد جاء العنوان في النسخة الخطية التركية [مقدمة تحقيق الكتاب ص ٢٧]: "وجاء في النسخة التركية اسم الكتاب هكذا: "كتاب فيه تفسير غريب موطأ مالك بن الأصبحي، مما ***سأل عنه*** يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي أبا عبد الله أحمد بن عمران بن سلامة النحوي المعروف بالأخفش".

وقد صمم الأخفش كتابه ورتبه على وفاق ترتيب أبواب الموطأ في أحيان كثيرة، يقول المحقق [ص ٣٩]: "اشتمل الكتاب على شرح مفردات أبهمت في الموطأ، ابتدأها المؤلف من بداية الموطأ إلى نهايته "وإن لم يلتزم بترتيب الكتب (= الأبواب) حسب ترتيبها في الموطأ".

ويكشف المثال التالي عن منهج التعليق على الكلمات الغريبة محل الشرح: [ص١٣٨]:

"قلت [= يحيى بن عمر الأندلسي سائلًا]: فقوله [أي: الموطأ (برواية يحيى الليثي ٢/ ٥٤٩ – ٥٥٠ رقم ٢٧٥٩)]: "إن اليهود إذا سلم عليكم أحدهم، فإنما يقول: السام عليكم".

فقال[= الأخفش مجيبًا]: يعني: الموت؛ كما قال النبي ﷺ في شيء وصفه هو "دواء لكل شيء إلا السام" ؛ يعني: الموت".

ويتضح من ذلك المثال العلامات التالية:

أ. افتتاح المسألة اللغوية بسؤال من يحيى بن عمر الأندلسي رواية الكتاب، وتعيين القطعة من الحديث محل السؤال؛ بمؤشر لغوي هو: قلت/ فقوله".

ب. التثنية بجواب المؤلف، أحمد بن عمران الأخفش، بمؤشر لغوي: "فقال".

ج. إيراد الشواهد الدالة على صحة التفسير الوارد في جواب الأخفش.

٢/ ٦,١ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، للإمام محمد بن الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م):

يعد هذا الكتاب استمرارًا لصور العناية بلغة الموطأ في المغرب والأندلس في العصر الحديث، وهو يتضمن تحقيقات [ص ١٣]: "يغلب عليها ... الطابع اللغوي".

وهو الأمر الذي يقرره المؤلف [ص ١٧] عندما يقول: "اقتنعت بإثبات أهم ما يلوح لي من النكت والمسائل، وكشف المشاكل ... أو بيان استعمال عربي فصيح، أو مفرد غير متداول".

وما كنا قررناه من أن أمر اللجوء إلى منهج ترتيب هذه الكتب اللغوية التي على الموطأ وفقا لترتيب أبوابه - كان بسبب سطوة إقرائه، وتعليمه، يؤكده الطاهر بن عاشور فيقول [ص ١٧]: "قد كانت تعرض لي عند مزاولة "الموطأ" ... رواية، ودراية ومطالعة – نكت وتحقيقات، وفتح لمغلقات ليست مما تهون إضاعته ولا مما تبخس بضاعته – فكنت حين ***أقرأته في جامع*** الزيتونة بتونس عقدت العزم على وضع شرح عليه يفي بهذا الغرض".

ولأجل تحقيق هذه الوظيفة التعليمية رتب ابن عاشور كتابه على الموطأ على وفاق ترتيب أبوابه؛ فابتدأ بكتاب الطهارة والصلاة وانتهي بكتاب أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة الكاشفة عن منهجه في التعليق والبنية الصغرى للكتاب ما يلي: [ص ٢٧٦]: "وقع فيه [أي الموطأ] قول عمر رضي الله عنه: "إني أخاف عليكم الرماء".

ضبط في القاموس [رمى ٢/ ١٦٩] بفتح الراء وبالمد، وهو: الربا.

قال في اللسان [رمى ٣/ ١٧٤٢] عن اللحياني: هو على البدل؛ يريد إبدال الباء ميمًا؛ لقرب مخرجيهما.

وفي تاج العروس [رمى] أنه وجد في نسخ المحكم مضبوطًا بكسر الراء لغة في الربا؛ لأن شأن الإبدال عدم تغيير زنة الكلمة.

ووجدت في طرة نسخة صحيحة من الموطأ مقابلة على نسخة ابن بشكوال ... عن ابن السكيت الرماء ممدود مفتوح الأول هو: الربا. يقال: منه أرمى؛ أي: أربى، وسابه فأرمى ؛ أي: زاد. وكذلك قال أبو عبيد عن الكسائي. وقال أبو عبيد: في هذا الحديث أصل الرماء الزيادة، يقال: أرميت على الخمسين؛ أي: زدت، إرماء، ويروى عن عمر في بعض الحديث: إني أخاف عليكم الإرماء، فجاء بالمصدر الصرف.

ويتضح من تحليل هذا النص اللغوي/ المعجمي ما يلي:

أ. البدء بتعيين قطعة الحديث مشغلة الشرح والتفسير، بمؤشر لغوي كاشف عن ارتباطها بالموطأ.

ب. بيان معلومات التعليق على شكل الكلمة محل التفسير، كالضبط.

ج. تفسير معنى الكلمة الغريبة.

د. النقل من المصادر المعجمية/ اللغوية العامة لدعم التفسير المذكور، وتعضيده.

هـ. التعليق على بعض الإشكالات اللغوية المتعلقة بمسألة الشرح، وهي هنا تعلقها بالإبدال.

و. النقل من المصادر اللغوية/ الحديثية لتوكيد التفسير المذكور للفظ الغريب، ودعمه، وتعضيده، وهو ما ظهر من استدعاء أبي عبيد صاحب كتاب غريب الحديث المشهور.

ز. دعم التفسير باعتماد النسخ الصحيحة المقابلة للأصل محل العناية بلغته.

❋❋❋

وبعدُ فإن هذه الكتب اتفقت جميعًا على تناول بعض مشكلات لغة كتاب الموطأ التي أحاطت بعدد من المستويات اللغوية الصرفية، والمعجمية والتركيبية، والأسلوبية.

ومما يلحظ أنها جميعًا لجأت لهذه المنهجية في الترتيب بسبب من الاشتغال بإقراء الموطأ، وتعليمه.

كما يلحظ أن هذه الكتب لم تتفق في النهاية فيما عرضت لتفسيره من المفردات؛ بمعنى أنها لم تطابق في تعيين الغريب من الألفاظ؛ بل تفاوتت في عد غريب كل باب، وهو ما يعني الأمور التالية:

أولًا: نسبية النظر إلى الغريب، ونسبية عد ما هو غريب من عصر لآخر، وإن اتحدت البيئة الأندلسية، مما يكشف عن أثر المنظور الزمني في إنتاج تعيين الغريب.

ثانيًا: نسبية النظر إلى الغريب من جهة الطالبين أو السائلين، فقد رأينا كتابين يعتمدان منهجية السؤالات والأجوبة لم يتطابقا فيما أورداه من كلمات الغريب المفسرة فيهما.

وهو ما يكشف عن منظور آخر منتج للغريب يتعلق بتفاوت مستويات السائلين وتفاوت تكوينهم المعرفي.

ثالثًا: نسبية النظر إلى الغريب من جهة المستعملين أو الدارسين الذين كان يشرح لهم الموطأ، وسوف نلاحظ زيادة كثافة الكتب اللغوية حول الموطأ مع الابتعاد عن عصور السلف، ويدعم ذلك ما يلي:

أ. كتاب ابن حبيب السلمي في مجلدة واحدة صغيرة.

ب. كتاب الأخفش/ في مجلدة واحدة صغيرة.

وهما من كتب القرن الثالث الهجري.

ج. كتاب التعليق على الموطأ للوقشي/ في مجلدين كبيرين.

د. كتاب الاقتضاب، لابن سليمان اليفرني/ في مجلدين كبيرين.

وهما من كتب القرنين الخامس والسابع الهجري.

وذلك يشير إلى تنامي وازدياد كثافة الكلمات التي يحكم عليها مجتمع المستعملين المتأخرين بالغرابة.

٢/ ٢ منهج الترتيب الهجائي الألفبائي المغربي

لم تغب تطبيقات منهج الترتيب الهجائي الألفبائي – بوصفه تجليًا تيسيريًّا – عن مجال المعاجم التي توخت شرح كلمات أحاديث الموطأ، وهو أمر له ما يسوغه في تاريخ العلم في الحضارة العربية الإسلامية التي شاع فيها تطبيقات التيسير على المستعملين بتأثير مباشر لواحدة من الخصائص العامة للشريعة الإسلامية، وهي النزوع نحو التيسير.

وقد ظهر عدد من الأعمال المرجعية/ المعجمية التي استهدفت خدمة لغة الأحاديث النبوية الواردة في الموطأ، رتب أصحابها مداخلها وفق

الترتيب الألفبائي، ولكن على طريقة المغاربة في ترتيبهم حروف المعجم وهو تجلٍ آخر لتأثيرات خصوصية البيئة المغربية والأندلسية.

وفيما يلي بيان لهذه الأعمال المعجمية/ اللغوية التي انتهجت هذا المنهج:

٢/ ١٠٢ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المالكي (ت ٥٤٤هـ = ١١٤٩):

يكشف منهج ترتيب هذا المعجم عن تأثير ظاهر للبيئة المغربية الأندلسية في رعاية ثقافة المستعملين؛ ذلك أن صاحبه رتب مداخله ترتيبًا هجائيًّا ألفبائيًّا على ما هو شائع من ترتيب عند المغاربة؛ يقول القاضي عياض [١/ ٦]: و"***رأيت ترتيب تلك الكلمات على حروف المعجم: أيسر للناظر***، وأقرب للطالب، فإذا وقف قارئ كتاب منها (= من الموطأ والبخاري ومسلم) على كلمة مشكلة، أو لفظة مبهمة فرع إلى الحرف الذي في أولها إن كان صحيحًا، وإن كان من حروف الزوائد أو العلل تركه وطلب الصحيح، وإن أشكل وكان مهملًا طلب صورته في سائر الأبواب التي تشبهه حتى يقع عليه هنالك، فبدأت بحرف الألف وضمت بحرف الياء على ***ترتيب حروف المعجم عندنا"*** ورتبت ثاني الكلمة وثالثها على ذلك الترتيب؛ رعاية رغبة في التسهيل للراغب والتقريب".

ومعنى ذلك أن الترتيب الخارجي للمداخل حامل لكل باب حرفًا تبدأ به كلمات كما يلي:

(باب حرف الهمزة/ باب حرف الباء/ باب حرف التاء/ باب حرف الثاء/ باب حرف الجيم/ باب حرف الحاء/ باب حرف الخاء/ باب حرف الدال/ باب حرف الذال/ باب حرف الراء/ باب حرف الزاي/ باب حرف الطاء/ باب حرف الظاء/ باب حرف الكاف/ باب حرف اللام/ باب حرف الميم/ باب حرف النون/ باب حرف الصاد/ باب حرف الضاد/ باب حرف العين/ باب حرف الغين/ باب حرف الفاء/ باب حرف السين/ باب حرف الشين/ باب حرف الهاء/ باب حرف الواو/ باب حرف الياء).

وجاء الترتيب الداخلي ألفبائيًّا هجائيًّا مغربيًّا أيضًا يراعي الترتيب نفسه في كل باب.

وهذا المنهج الهجائي جذري، يقوم على تجريد الكلمات من الزيادات عند الترتيب.

وأما منهج بناء التعليق على المداخل مما يعرف بالبنية الصغرى للمعجم، فيكشف عنه المثال التالي [١٦٩/٢]:

"(ق ب ل): قوله: "ثم يوضع له القبول في الأرض" بفتح القاف؛ أي: المحبة والمكانة من القلوب والرضى؛ قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [سورة آل عمران/٣٧]؛ أي: رضى.

قال أبو عمرو: هو مصدر.

وقد جاء (الحديث) مفسرًا في رواية: "القعبني": فيضع له المحبة مكان القبول ويتضح من هذا النص رعاية معلومات التعليق التالية:

أ. ضبط المدخل مشغلة التفسير، والشرح، بالتقييد.

ب. بيان معنى المدخل، وتفسيره وشرحه.

ج. توكيد المعنى المشروح بالشاهد المعجمي من الكتاب العزيز، وشرحه وتفسيره. وقد نهض الشاهد الكريم بوظيفتين هما:

١. دعم صحة الضبط المذكور بفتح القاف.

٢. دعم صحة التفسير المذكور.

د. إيراد رواية "القعبني" لأغراض معجمية، لا حديثية، بمعنى أن إيراد رواية القعبني كان لتأكيد صحة المعنى الذي فسر به الكلمة محل التفسير. وهذه تقنية من تقنيات شروح المعاني الجليلة المتفردة الخاصة بالنصوص المروية متعددة الروايات.

٢/ ٢,٢ مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها، لابن قرقول (ت٥٦٩هـ = ١١٧٣م)

يكشف تحليل منهج ترتيب هذا المعجم – كما ظهر مع سابقه في هذا المطلب – عن تأثير البيئة العلمية ورعايتها في تعيين هذا النظام؛ فقد رتب ابن قرقول مداخل هذا المعجم على وفاق النظام الهجائي الألفبائي المغربي؛ فقد جاء ترتيبه الخارجي على ثمانية وعشرين بابًا، لكل حرف باب مستقل

أورد فيه الكلمات المبدوءة بهذا الحرف بعد رعاية تقنية التجريد، والرد إلى الجذور.

وعد أبوابه كما يلي:

(حرف الهمزة/ حرف الباء/ حرف التاء/ حرف الثاء المثلثة/ حرف الجيم/ حرف الحاء/ حرف الخاء/ حرف الدال/ حرف الذال/ حرف الراء/ حرف الزاي/ حرف الطاء/ حرف الظاء/ حرف الكاف/ حرف اللام/ حرف الميم/ حرف النون/ حرف الصاد/ حرف الضاد/ حرف العين/ حرف الغين/ حرف الفاء/ حرف القاف/ حرف السين/ حرف السين/ حرف الهاء/ حرف الواو/ حرف الياء).

ورتب كلمات كل باب مراعيًا هذا الترتيب نفسه في الثواني والثوالث، وهو ما يعني أن الترتيب الداخلي جاء هجائيًّا مغربيًّا هو أيضًا.

وقد كشف تطبيق النظام الهجائي الألفبائي المغربي عن رعاية لمنظور المستعمل المغربي والأندلسي في صورة العناية بثقافة ترتيب حروف المعجم الشائعة في هذه البيئات تعيينًا.

وقد عرض ابن قرقول لملامح هذا المنهج في مقدمة معجمه؛ فقال [١٥٦/١]: "ثم لما أجمع عزمي على النظر في ذلك (مما هو داخل في بيان مشكل الأحاديث، وشرح ألفاظ غريبها ... إلخ) رأيت ترتيب هذا الغريب على حروف المعجم ***أقرب وأفهم***، ***وأخلص من التكرار*** للألفاظ بحسب تكررها في هذه الأمهات، وأسلم؛ تيسيرًا على الطالب، ومعونة للمجتهد

الراغب – فإذا وقف قارئ ... من هذه المصنفات على لفظ غريب، أو كلمة مشكلة ... فزع إلى الحرف الذي في ***أولها*** ... ***ونسقت أبوابه على حروف المعجم عندنا بالمغرب" .***

وهذا المعجم والذي سبقه – هنا في مدرسته – يبدآن في كل باب بشرح غريب لغة الموطأ، ثم يثنيان بتعريف الأعلام، الأماكن من هذا الأصل عمل الشرح والتفسير؛ فهما معجمان موسوعيان.

وفيما يلي مثال من هذا المعجم كاشف عن منهج بناء التعليق على المداخل يقول ابن قرقول [١/ ٤٨٨]: "وقوله ﷺ: "والمبطون شهيد".

هو صاحب الاستطلاق. وقيل: صاحب الاستسقاء، وبغلان بطن: إذا أصابه داء في بطنه، إسهال أو غيره، يقال: بُطِن الرجل – مبني لما لم يسم فاعله – صار مبطونًا".

ويتضح من هذا المثال ما يلي:

أ. الافتتاح بالحديث الذي في الموطأ محل الحاجة إلى التفسير والشرح لغريبه.

ب. بيان شرحه وتفسير لغته.

ج. جرد الأقوال على اختلافها في تفسير موضع الحاجة إلى الشرح.

والحقيقة أن ظهور هذين المنهجين أو النظامين في ترتيب غريب الموطأ، ومعالجة لغة الأحاديث فيه حقق خدمة لأكبر قطاع من المستعملين، وحقق عددًا من الوظائف التعليمية والعلمية التيسيرية.

وهذا ملمح مستقر في تتبع تاريخ التصنيف المعجمي في العربية، وهو التاريخ الذي حرص على تنوع أنظمة الترتيب للمداخل، وتيسير خدمة المستعملين من كل طريق يضطرون إليه؛ مما يعني أن تاريخ الحركة اللغوية حول الموطأ في المغرب والأندلس جاءت امتداد لما استقر من تاريخ الحركة المعجمية في عموم التاريخ العلمي اللساني في حضارة العرب المسلمين.

٣/ مصادر تعيين مصادر دراسة لغة الموطأ في المغرب والأندلس:

يستهدف هذا المطلب الدلالة على مجموعة المصادر المعينة على بيان مظان الحصول على مصادر دراسة لغة الموطأ في المغرب والأندلس، وفيما يلي بيان لأظهر هذه المصادر أو المظان:

٣/ ١ أدبيات موضوعات العلوم

وهي المصنفات التي تعنى بتعريف القارئ بموضوع كل علم؛ ذلك أنها التزمت إيقاف القارئ على مجموعات متنوعة المستويات لكتب كل حقل معرفي، ومراجعة كتب من أمثال: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ = ١٥٦١م) وأبجد العلوم لصديق حسن خان (ت ١٣٠٧هـ = ١٨٨٩م) وغيرهما.

٣/ ٢ أدبيات الببليوجرافيا العربية

ويرتبط بما مر توًّا كتب الببليوجرافيا العربية التي تعنى برصد الكتب في حقل معرفي تراثي كالفهرست للنديم (ت ٣٧٧هـ = ٩٨٧م)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ = ١٦٥٦م).

٣/ ٣ ما وصل إلينا من شروح الموطأ، وتفسير غريب لغته، وغامض أساليبه، وأعاريبه

فهذه الكتب تعتمد - بطبيعة الحال – على ما سبقها من كتب عالجت طرفًا من لغة الموطأ، وتعرضت شارحة ومفسرة غرائبه.

ومن ثم فكل ما وصل إلينا من شروح على الموطأ أيًّا ما كان منحاها وتوجهها - هو مصدر مهم من مصادر الكشف عن كتب سبق ظهورها يمكن أن تكون خادمة للغة هذا الأصل العظيم من أصول العلم.

٣/ ٤ مقدمات المحققين المعاصرين لما يحققونه من الكتب اللغوية حول الموطأ

إن مفهوم التحقيق المستقر يلزم المحقق بضرورة صناعة دراسة للنص، ويلزمه تضمين هذه الدراسة مطلبًا يسعى إلى استيعاب المؤلفات المماثلة لفن النص مشغلة التحقيق بوصف ذلك جزءًا من مكملات التحقيق الحديثة.

وقد أحسن الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثمين بالفصل الذي صنعه لشرورح الموطأ في مقدمة تحقيقه لكتاب: (تفسير غريب الموطأ، لابن حبيب السلمي الأندلسي)، [ص ٦٣ - ١٥٠] رصد فيه ثلاثين ومئة شرح على الموطأ، ودراسة ما وصل إلينا من كتب هذه القائمة كفيل بإضافة عدد من المصادر اللغوية الأندلسية التي كان همها الاشتغال بلغة الموطأ؛ غريبًا وإعرابًا.

٤/ المصنفات اللغوية الأندلسية حول الموطأ:

قراءة في خطاب الوظائف:

يكشف تحليل أدبيات الحركة اللغوية الأندلسية حول الموطأ عن حزمة من الوظائف التي يسعى إلى تحقيقها أصحاب هذه المصنفات، يمكن الإشارة إلى أظهرها فيما يلي:

٤/ ١. التأسيس الفقهي المالكي في المغرب والأندلس.

٤/ ٢. خدمة العملية التعليمية التي كانت مزدهرة حول إقراء الموطأ وتعليمه.

٤/ ٣. التوجه نحو تحقيق نوع وحدة معرفية بين جماهير المتذهبين بمذهب مالك، ببذل تفسير الموطأ؛ لخلق نوع من الاشتراك في فهم هذا الأصل.

٤/ ٤. تيسير تحصيل فهم الموطأ من كل سبيل، وهو ما يفسر لنا تنوع أنظمة ترتيب هذه الأدبيات اللغوية حوله، فقد كشف هذا البحث عن نظامين أو منهجين تصنيفيين، هما:

أ. منهج التصنيف الفقهي/ الموطئ الذي شرح لغة الكتاب مرتبة على ترتيب أبوابه (وهو منهج يعين على تحسين التحصيل).

ب. منهج التصنيف الهجائي الألفبائي المغربي (وهو منهج معين على تيسير تحصيل المطلوب من تفسير لغة الموطأ).

٤/ ٥. تحقيق الوظيفة (الحضارية) يسعى فيها المجتمع العلمي المغربي الأندلسي بإثبات تفوقه، وخدمته لأصول العلم في مواجهة المشرق الذي يسبق بخطوات - المغرب والأندلس.

وقد أنتج هذا التنافس تفوق الأندلس في بعض أبواب خدمة العلم مقارنة بمنجز المشارقة.

٤/ ٦ تحقيق الوظيفة التعليمية/ البيداجوجية:

لقد كشف ظهور قطاع كامل من المعاجم التي استهدف خدمة لغة الموطأ - أنها جاءت استجابة لأغراض التعليم والإقراء التي كان يتمتع بها موطأ الإمام مالك في مدارس العلم والفقه في المغرب والأندلس؛ فهذه الجهود التي توخت العناية بشرح لغة أحاديث الموطأ استهدفت تقريبها لأبناء كل جيل لتعينهم على تحصيل حقائق نصوصها بلغة زمانهم، وهو قيام بواجب تيسير التعليم؛ وهو تطبيق لمبدأ حاكم في الشريعة هو اليسر والحنفية السمحة.

٤/ ٧ الوظيفة المعرفية:

وهذه الوظيفة من أهم ما تنهض به هذه الأعمال اللغوية الأندلسية حول الموطأ، وقد تمددت إلى مجالات مختلفة من مثل:

أولًا: خدمة نص أحاديث الموطأ؛ فقد حرصت هذه الأعمال اللغوية على استيعاب رواية الحديث الواحد من النسخ المختلفة التي كانت متوافرة للموطأ في ذلك الزمان البعيد، وهي خدمة حديثية ولغوية معًا.

ثانيًا: خدمة الدرس الفيلولوجي؛ فقد نهضت هذه المصنفات اللغوية حول الموطأ بمجموعة من الوظائف الفرعية الفيلولوجية اختصت بما يلي:

أ. الاحتفاظ بنصوص لغوية من كتب خاصة بشرح لغة الحديث لم تصل إلينا على ما نرى من إشارة كتاب (الاقتضاب، لليفرني [١/ ٧٤] إلى كتاب (تفسير غريب الموطأ، لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم بن مزين) الذي وصلت إلينا قطعة صغيرة منه.

ب. توثيق نسبة كثير من المصنفات اللغوية الأندلسية تعيينًا، التي نقلت عنها هذه المصنفات حول الموطأ.

ج. تصحيح عدد من نصوص المصنفات اللغوية الأندلسية التي وصلت إلينا؛ فقد مثلت هذه الكتب اللغوية حول الموطأ نسخًا ثانوية حديثة تعين على تصحيح تلك المصنفات في النصوص التي نقلت منها، ومن ذلك ما نقله الوقشي في (التعليق على الموطأ) من ابن القوطية في الأفعال (٢/ ٤٢٦)، وما نقله اليفرني في (الاقتضاب في غريب الموطأ) (١/ ٨٢؛ ٨٩؛ ١٠٧؛ ١١٢؛ ١٥٧؛ ٢٢٣؛ ٢/ ١٢٢؛ ١٥٨؛ ١٦٩؛ ٢٠١؛ ٢٤٨؛ ٣٤٩؛ ٣٦٦؛ ٣٨٧ منسوبة إلى صاحب الأفعال) و(١/ ٦٤) منسوبة إلى ابن القوطية وما نقله ابن قرقول عن ابن القوطية؛ فهذه النصوص المنقولة من ابن القوطية تسهم في تحقيقه في كتاب (مطالع الأنوار على صحاح الآثار) منسوبة مرة إلى صاحب الأفعال (٢/ ١١٥؛ ١١٨؛ ١٢٦؛ ٣/ ٣٨٨) ومرة إلى صاحب الأفعال ابن القوطية (٣/ ١٢٦).

خاتمة:

استهدف هذا البحث فحص وجوه العناية الأندلسية بلغة كتاب (الموطأ) للإمام مالك – رحمه الله.

وقد تناول البحث المباحث التالية:

١. مدخل في منزلة موطأ مالك في الأندلس، وانعكاساتها على حركة خدمته لغويًّا.

٢. بيان حدود العناية بلغة الموطأ، وصورها المختلطة والمستقلة في الأندلس.

٣. بيان مناهج التصنيف في الحركة اللغوية حول الموطأ في الأندلس.

٤. بيان مصادر تعيين مظان مراجع الحركة اللغوية حول الموطأ في الأندلس.

٥. محاولة الكشف عن وظائف العناية بلغة الموطأ في الأندلس.

وقد كشف البحث بعض النتائج من مثل:

أولًا: تنوعت العلامات الكاشفة عن منزلة الموطأ في المغرب والأندلس، وتجلت في ظهور حركة لغوية ظاهرة استهدفت خدمة الغريب، والمبهم والغامض، من ألفاظه وتراكيبه.

ثانيًا: كشف البحث عن ثلاثة حدود للعناية بلغة الموطأ في الأندلس؛ هي:

أ. ظهور شروح لغوية مختلطة مع شروح البخاري ومسلم.

ب. ظهور شروح لغوية مستقلة خاصة بشرح لغته وحده.

ج.ظهور تفرد برواية مصادر لغوية شارحة للموطأ ظهرت في المشرق، واستأثر الأندلس برعايتها وروايتها.

ثالثًا: كشف البحث عن التنوع المنهجي للمعاجم حول لغة الموطأ، تمثلت في ظهور منهجين، هما:

أ. المنهج الفقهي/ الموطئ الذي رتب الكلمات وفق ترتيبها في الموطأ.

ب. المنهج الألفبائي المغربي؛ رعاية للمستعمل المغربي الأندلسي.

رابعًا: كشف البحث عن ظهور تطبيقات للمعجمية الموسوعية؛ فقد اهتمت كثير من مصنفات الحركة اللغوية حول الموطأ في الأندلس بشروح غريب اللغة والإعراب، بجانب التعليق على الأعلام، والمواضع بتعريفها وتعيينها.

خامسًا: اجتهد البحث في تعيين مظان الحصول مصادر دراسة لغة الموطأ في الأندلس.

سادسًا: رصد البحث حزمة من الوظائف التي استهدفت مصنفات الحركة اللغوية حول الموطأ في الأندلس تحقيقها.

قائمة مصادر البحث:

١. الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، لليفرني، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٢. التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية، للواء المصري محمد مختار باشا، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة ١٣١١هـ.

٣. التعليق على الموطأ في تفسير لغاته، وغوامض إعرابه ومعانيه، للوقشي، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثمين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٤. تفسير غريب الموطأ، للأخفش، تحقيق طه بن علي بوسريح التونسي، وأروى بنت محمد المختار اللاني، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٨هـ = ٢٠١٦م.

٥. تفسير غريب الموطأ، لابن حبيب الأندلسي، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثمين، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٦. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث القاهرة، ١٣٣٣هـ.

٨. مشكلات موطأ مالك بن أنس، المنسوب لابن السيد البطليوسي، تحقيق: طه بن علي بوسريح التونسي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٩. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، تحقيق دار الفلاح، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة قطر، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

١٠. معجم المعاجم، لأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

١١. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

١٢. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

١٣. الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م.

❊❊❊

الفصل الثاني

عناية الأندلسيين بلغة الصحيحين: الحدود والمصادر والوظائف

./ مدخل: في الوعي بالأصول المعرفية للأمة، والاشتغال بها، ومنزلة الصحيحين في الأندلس:

كان من الظواهر المثيرة في تاريخ العلم في الحضارة العربية الإسلامية تأسسها على خدمة الأصول والمرجعيات المعرفية المركزية التي دارت حول خدمة الوحي بالأساس، والوحي مؤسسة عملاقة عمادها الكتاب العزيز وتفصيله وتطبيقه وتشغيله في الواقع والحياة متمثلًا في السنة الصحيحة، وهو ما يصدقه قول رسول الله ﷺ: "ألا إني أوتيت (القرآن) ومثله معه" [سنن أبي داود، كتاب السنة باب لزوم السنة، حديث ٤٦٠٤، القاهرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م].

وقد تنامى وفشا ظهور علامات الوعي بهذه الأصول المعرفية المؤسسة لعقل الأمة ووجدانها وسعيها في حركة الحياة، وكانت أظهر علامات هذا الوعي ماثلة في الاشتغال المستوعب بهذه الأصول، وخدمتها من كل سبيل، وتيسير تحصيلها للناس، وتأسيس العلم على ما ورد فيها.

وقد تنوعت مسارات خدمة الصحيحين تنوعًا ظاهرًا جدًّا محكومًا بأمرين، هما:

أولًا: مسار خدمتهما بوصفهما مصنفين مؤسسين خادمين للسنة الشريفة.

ثانيًا: مسار خدمتهما بوصفهما مصنفين يحويان "العلم" الذي جاء به رسول الله ﷺ أو بوصفهما يحويان مصدر العلم في الأمة، ومنبعه.

وليس من شك في أن التوق إلى العناية بلغة الصحيحين أمر ضروري؛ لأن هذه العناية اللغوية هي المهاد والمفتتح لأي نشاط أو حركة علمية من أي نوع تستهدف استثمار نصوص الأحاديث التي جمعت فيهما من جانب الفقه أو الأصول أو من جانب ضبط السلوك والأخلاق، أو من جانب خدمة العمران والحضارة ... إلخ.

والحقيقة أن تاريخ العناية بلغة الصحيحين في الأندلس قديمة، ومتنوعة في مناهجها، وأنساق تأليفها.

والصحيحان هما: "الكتابان الجليلان اللذان اشتهرا ...:

أحدهما: الصحيح الذي جمعه أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ = ٨٦٩م).

وثانيهما: الصحيح الذي جمعه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري (ت ٢٦١هـ = ٨٧٥م).

تلقاهما أئمة هذا الشأن – بعد البحث الدقيق – بالقبول، وأعلنوا – في ثقة وطمأنينة قلب – أنهما أصح الكتب التي صنفها الناس في ملة الإسلام"

[مقدمة تحقيق البخاري، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (ط٤) ١٤١٨هـ = ١٩٨٨م (١/ ٥)].

وهذا الرأي يكشف عن منزلة الصحيحين في تاريخ العلم في الأمة الإسلامية: "ولا تزال منزلة هذين الكتابين إلى يوم الناس هذا، على ما عرفه لهما الأئمة الذين تلقوهم بالقبول وعرفوا لصاحبيهما قدر ما بذلاه من الإخلاص والنصح للمسلمين" [مقدمة تحقيق صحيح البخاري، لمحمد محيي الدين عبد الحميد(١/ ٦)].

وهذه المنزلة الرفيعة للصحيحين مجمع عليها بين علماء المشرق، وعلماء المغرب والأندلس على السواء. وتاريخ العناية بهما ملازمة لميلادهما وظهورهما، وبداية روايتهما.

وقد أنتجت هذه المنزلة الرفيعة بالصحيحين أنواعًا من العناية بخدمته، تحركت في مسارين ظاهرين في الأندلس، هما:

أولًا: مسار عام، خدمته فيه شروح عامة اهتمت بفقههما وعلمهما، وصنعتهما الحديثية.

ثانيًا: مسار خاص خدمته فيه مصنفات لغوية متنوعة العناية بالمستويات المختلفة، مختلطة بخدمة غيرهما من المدونات الحديثية الشريفة، أو مستقلة مختصة بهما، أو بأحدهما.

وفيما يلي معالجة قضية العناية بلغة الصحيحين في الأندلس، وبيان مطالب هذه المعالجة كما يلي:

١/ حدود العناية بلغة الصحيحين: مدخل استقرائي تأريخي تصنيفي.

٢/ مناهج الأندلسيين في التصنيف اللغوي حول الصحيحين.

٣/ مصادر تعيين مصادر دراسة لغة الصحيحين في الأندلس.

٤/ حركة العناية بلغة الصحيحين في الأندلس: خطاب الوظائف.

وقبل الخوض في تجليات خدمة لغة الصحيحين في الأندلس في مسارها الخاص، ننبه على أن ثمة وجوهًا من وجوه العناية بلغة الصحيحين أو أحدهما - ولا سيما صحيح الإمام مسلم - ظهرت في المغرب والأندلس، جاءت في سياق المسار العام الذي اعتنت تطبيقاته بالشروح العامة للصحيحين أو أحدهما في الأندلس، ومن ذلك:

أ. كتاب العلم بفوائد مسلم، للمازري (ت ٥٣٦هـ = ١١٤١م)، تقول مقدمة تحقيقه للمازري [تحقيق متولي خليل عوض الله وموسى السيد الشريف، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، (١/)]: "وأملى الإمام المازري عليه (صحيح مسلم) شرحًا وسماه: المعلم، اشتمل على عيون من علم الحديث، وفنون من الفقه والأدب ***واللغة*** ".

ب. كتاب: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)، وقد اعتنى القاضي عياض – بصورة دائمة وظاهرة - بتفسير اللغة من الأحاديث، واعتمد على مصادر معجمية كثيرة لتحقيق هذه النقطة المنهجية [انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، القاهرة ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م] (١/ ١٣٩؛ ١/ ١٤٠؛ ٢/ ٤٥٩، ٣/ ٤٨٦ ففي هذه

المواضع وغيرها نقول من معجمات لغوية بغرض تفسير بعض غريب حديث الإمام مسلم)].

ج. كتاب المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، لابن عمر الأنصاري القرطبي، (ت٦٥٦هـ = ١٢٥٨م).

ومن منهجه افتتاح شرح كل حديث بطائفة من المعلومات اللغوية التي تشتمل على بيان ضبط النطق، وتفسير معاني الكلمات، هو عمل لغوي بامتياز [انظر: كتاب الفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، تحقيق د. عبد الهادي النازي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، (ط١) ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، (١/ ١٩٥؛ ١/ ٢٧٨؛ ١/ ٣٢٦؛ ٢/ ٥٨٧؛ ٢/ ٧٨٩؛ ٣/ ١٢١٠؛ ٣/ ١٢٨٣؛ ٤/ ١٥٧٢؛ ٤/ ١٧٦٠)].

وأمثلة العناية العامة بالصحيحين أو أحدهما في المغرب والأندلس كثيرة، لكنها تكشف عن حضور جيد للعناية بلغتهما في سياق العناية العامة بما فيهما من فقه، وعلم، وحديث، وأدب، وبلاغة.

١/ حدود العناية بلغة الصحيحين: مدخل استقرائي تأريخي تصنيفي:

في هذا المطلب نتوقف أمام المصنفات التي توجهت إلى لغة الصحيحين أو أحدهما في الأندلس، في محاولة استقرائية نوردها مرتبة تاريخيًّا، ثم نقف أمامها تصنيفيًّا:

١/ ١ مصنفات العناية بلغة الصحيحين في الأندلس: قائمة مؤرخة

(أولا) القائمة:

١. ٢٣٨هـ = ٨٥٢م/ غريب الحديث، لعبد الملك بن حبيب الألبيري، [انظر: معاجم غريب الحديث، والأثر، للدكتور السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط١) ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م (ص ٩٥ فقرة ١٩)].

٢. ٢٨٦هـ = ٨٩٩م/ غريب الحديث، للخشني.

[انظر: معاجم غريب الحديث والأثر، للدكتور السيد الشرقاوي (ص١٠٧ فقرة ٣٢)].

٣. ٣٠٢هـ = ٩١٤م/ كتاب الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي.

[حققه ونشره د. محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م].

٣م. ٤٢٣هـ = ١٠٣٢م/ تفسير غريب البخاري، لابن الصابوني [انظر: الجهود العلمية المتعلقة بصحيح البخاري].

٤. ٤٨٨هـ = ١٠٩٥م/ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي [حققته د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، وقدم له د. شعبان محمد مرسي، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م].

٥. ٥٠٥ = ١١١١م/ جزء في مسألة تفسير قول النبي ﷺ في خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن خالدًا قد احتبس أدراعه وأعتده" واختلاف الرواية في ذلك، لأبي بكر المعافري.

والحديث من مرويات البخاري (كتاب الزكاة، فتح الباري ٣/ ٣٨٨) ومسلم كذلك في صحيحه (٣/ ٦٨) [انظر: معاجم غريب الحديث والأثر، (ص ١٣٢ فقرة ٦٥) والتخريج من هوامشه (ه ١/ ص١٣٣)].

٦. ٥٤٠ه = ١١٤٥م/ شرح غريب البخاري، لابن الحسن الجياني [انظر: معاجم غريب الحديث والأثر، ص ١٣٨ فقرة ٧١].

٧. ٥٤٤ه = ١١٤٩م/ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض [المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة، ١٣٣٣ه].

٨. ٥٤٤ه = ١١٤٩م/ بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، للقاضي عياض، والحديث رواه القاضي من طريق البخاري ومسلم (ص ٢ ؛ ٦).

وهو كتاب لغوي بامتياز، يقول في مقدمته (ص٢): "رأينا أن نبتدئ بالحديث وسياق متنه، ثم نذكر بعد ذلك ... ***شرح غريبه***، وعويص إعرابه، ومعاني فصوله".

[حققه صلاح الدين الإدلبي ومحمد الحسن أجانف ومحمد عبد السلام الشرقاوي، سبتة، المغرب، ١٣٩٥ه = ١٩٧٥م].

٩. ٥٦٩ه = ١١٧٣م/ مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغاتهم، لابن قرقول الأندلسي [حققته دار الفلاح، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة قطر، الدوحة، ١٤٣٣ه = ٢٠١٢م].

١٠. ٥٨١هـ = ١١٨٥م/ الواعي، لعبد الحق الإشبيلي [انظر: معاجم غريب الحديث والأثر، ص ١٤٦ فقرة ٧٧].

١١. ٦٤٦هـ = ١٢٤٨م/ المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم، لابن هشام الخضراوي [انظر: معاجم غريب الحديث والأثر، ص ١٥٥ فقرة ٨٥].

١٢. ٦٧٢هـ = ١٢٧٣م/ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك الأندلسي [حققه محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٥٧م، ثم حققه على أربع نسخ خطية الدكتور طه محسن عبد الرحمن، وزارة الأوقاف والشئون الدينية، العراق، بغداد؛ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م].

١٣. ١٣٩٤هـ = ١٩٧٣م/ النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، للطاهر بن عاشور. [دار سحنون، تونس، ودار السلام القاهرة، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م].

(ثانيا): ملاحظات على القائمة:

يكشف التحليل الأولي لهذه القائمة عن مجموعة من الملاحظات المهمة، هي:

أ. ظهور العناية بلغة الصحيحين في حقبة مبكرة جدًّا من وفاة الإمامين البخاري ومسلم، بعد أقل من عقدين، وهو ما يعني الوحدة والترابط العلمي بين جناحي الأمة مشرقًا ومغربًا.

ب. تنوع المستويات اللغوية التي توخى اللغويون الأندلسيون خدمتها، لتغطي مستوى خدمة المعجم والغريب، ومستوى خدمة النحو والتراكيب والإعراب، وحل عويصه، ومشكل أساليبه.

ج. امتداد العناية مكانيًّا لتغطي جغرافية المغرب، والأندلس.

د. امتداد العناية الزمنية حتى العصر الحديث.

هـ. ظهور أثر المشارقة في الإسهام في خدمة لغة الصحيحين بمساعدة العلماء الأندلسيين على ما يظهر من خدمة اليونيني لابن مالك الأندلسي؛ بهدف وضع كتابه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (رقم ١٢ هنا).

١/ ٢ مصنفات العناية بلغة الصحيحين: مدخل تصنيفي للحدود

في هذا المطلب نكشف عن الأنساق التأليفية على مستوى بيان المستويات التي استهدف اللغويون المغاربة والأندلسيون خدمتها.

١/ ١,٢ النسق المختلط:

ظهر عدد من المصنفات اللغوية الأندلسية اعتنت بلغة الصحيحين في سياق عنايتها بهما وبغيرهما من كتب الحديث.

وهذه المؤلفات توزعت على محورين، هما:

أ. محور العناية بلغة الصحيحين في كتب غريب الحديث الجامعة:

ويمثل هذا المحور الكتب التالية (أرقام: ١؛ ٢؛ ٣؛ ١٠): وغريب الحديث لعبد الملك بن حبيب الألبيري، وغريب الحديث للخشني، وكتاب

الدلائل في غريب الحديث لقاسم بن ثابت السرقسطي، والواعي (في غريب الحديث) لعبد الحق الإشبيلي.

ب. محور العناية بلغة الصحيحين مع كتاب حديثي أصل معين (وهو الموطأ):

ويمثل هذا المحور الكتب التالية (أرقام ٧؛ ٩):

مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ومطالع الأنوار على الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ والبخاري ومسلم، وإيضاح مبهم لغاتهم، لابن قرقول الأندلسي.

١/ ٢,٢ النسق المستقل:

أولا: جرد الأنساق:

وأقصد بالنسق المستقل ما توجه إليه اللغويون الأندلسيون في خدمتهم للصحيحين من دون مزاحمة من مدونات حديثية أخرى.

وقد اتخذت تطبيقات هذا النسق المستقل الخادم للغة الصحيحين عند المغاربة والأندلسيين الصور التصنيفية التالية:

أ. محور العناية بلغة الصحيحين مجتمعين:

ويمثل هذا المحور الكتب التالية (رقم: ٤):

كتاب تفسير غريب الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي.

ب. محور العناية بلغة أحد الصحيحين دون غيره:

وقد صنف اللغويون المغاربة والأندلسيون في خدمة لغة الصحيحين في صورة مستقلة تفرد كلي، وخدمتها بالعناية التأليفية، وفيما يلي بيان ذلك:

ب/١ مصنفات العناية بشرح لغة صحيح البخاري كله:

ويمثل هذا الفرع الكتب التالية (أرقام: ٦؛ ١٢؛ ١٣):

كتاب شرح غريب البخاري لأبي الحسن الجياني، وكتاب شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك الأندلسي، وكتاب النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، للطاهر بن عاشور.

ب/ ٢ مصنفات العناية بشرح لغة صحيح مسلم كله:

ويمثل هذا الفرع ما يلي (رقم ١١):

كتاب المفصح المفهم، والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم، لابن هشام الخضراوي.

ج. محور العناية بحديث واحد من أحاديث الصحيحين:

ويقصد بهذا المحور المصنفات اللغوية الأندلسية التي تخيرت حديثًا واحدًا أو جزءًا من حديث رواه البخاري ومسلم أو أحدهما، وشرحاه شرحًا لغويًّا، ويمثل هذا المحور الكتب التالية (أرقام: ٥؛ ٨).

كتاب جزء في مسألة تفسير قول النبي ﷺ في خالد بن الوليد رضي الله عنه: "إن خالدًا قد احتبس أدراعه وأعتده" لأبي بكر المعافري، وبغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، للقاضي عياض.

ثانيًا: ملاحظات على الأنساق:

ويلاحظ على هذه الأنساق التصنيفية مجموعة من الملاحظات، هي كما يلي:

١. تنوع المستويات اللغوية محل العناية بها في المنجز الأندلسي اللغوي على الصحيحين، وهو تنوع خدم معجم الأحاديث، ولا سيما الغريب؛ ضبطًا، وشرحًا وتفسيرًا، وخدم تراكيب الأحاديث إعرابًا، وحلًّا للمشكل منها.

٢. تنوع الأنساق التأليفية التي تشرح لغة الصحيحين مع لغة غيرهما من أصول كتب الحديث، وقد مثل الموطأ الأصل الثالث مع هذين الصحيحين، ونزلت هذه الثلاثة الأصول منزلة سامية في الاشتغال عليها، كما ظهرت عناية جمعت الأصلين الصحيحين، للبخاري ومسلم فقط، وهو جمع روعي فيه إجماع الأمة على منزلتهما، كما ظهرت عناية مفردة مستقلة لكل صحيح منهما، وهو استقلال روعي فيه تقدير المنزلة الرفيعة لكل أصل على حدة، كأظهر نوع توجه للعناية بحديث واحد لاعتبارات علمية معتبرة، كما ظهر نوع اتجه للتعاطي مع المشكلات التي تأسست على مبادئ نحوية وأسلوبية.

٣. ظهرت من بعض أنساق التأليف/ المصنفات (ب/ ٢) من مثل كتاب ابن مالك - نوع تعاون بين علماء المشرق (كاليونيني) وعلماء الأندلس (كابن مالك).

٢/ مناهج التصنيف اللغوي حول الصحيحين في الأندلس:

إن تأمل الأنساق التصنيفية السابقة لجهود علماء اللغة الأندلسيين يتوزع على مجموعة من المناهج، وهي كما يلي:

٢/ ١ منهج الترتيب الحديثي (المسانيد).

٢/ ٢ منهج الترتيب الهجائي الألفبائي المغربي.

٢/ ٣ منهج التصنيف العشوائي.

وفيما يلي بيان كل منهج من هذه المناهج:

٢/ ١ منهج الترتيب الحديثي

رتب بعض أصحاب المصنفات اللغوية الأندلسية حول الصحيحين وفق منهج الترتيب الحديثي مراعيًا في ذلك ترتيب المسانيد أو الترتيب الفقهي الذي احتذاه أصحاب الصحيحين.

٢/ ١,١

وقد سار على المنهج المساندي من معجمات غريب الحديث الأندلسية ما يلي:

١. كتاب الدلائل في غريب الحديث، للقاسم بن ثابت السرقسطي (رقم ٣).

٢. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي (رقم ٤).

ويلحق بهذين الكتابين - فيما يبدو - كتاب غريب الحديث للخشني، حيث يقول ابن خير الإشبيلي في [فهرسة ابن خير ١٩٥، وانظر معاجم غريب الحديث ١٠٧ هـ٥]: "من وصف ابن خير للكتاب يتضح أنه (وفق منهج

المسانيد) جعل أحاديث النبي في أحد عشر جزءًا وأحاديث الصحابة ستة أجزاء، وأحاديث التابعين في خمسة أجزاء".

وفي ذلك يقول محقق كتاب السرقطسي (مقدمة التحقيق ١/ ٥٠):

وقد انتهج القاسم بن ثابت السرقسطي في كتابه: الدلائل طريقة أبي عبيد وابن قتيبة: "فقد حذا حذوهما، والتزم طريقتهما في الترتيب والتنظيم؛ فبدأ بأحاديث النبي ﷺ، ثم قفاها بأحاديث الصحابة مقدمًا الخلفاء الأربعة الراشدين، ثم بقية العشرة، ثم تلا أحاديث الصحابة بآثار التابعين وأتباعهم".

وقد شرح السرقسطي عددًا كبيرًا من أحاديث الصحيحين كما يظهر من تخريج الأحاديث التالية (عن مسلم ١/ ٩؛ ١/ ١٣؛ ١/ ١٦)، (وعن البخاري ١/ ١٦؛ ١/ ٣٦ وغير ذلك من المواضع).

ويقول الحميدي في مقدمة كتابه تفسير غريب ما في الصحيحين (ص/ ٣٣): "إنا لما فرغنا بعون الله وتأييده من كتابنا الجمع بين الصحيحين ... أردنا ***أن نفسره بشرح الغريب*** الواقع في أثناء الآثار .. وقد ذكرنا ***ما في كل مسند*** من الغريب، أولًا فأول على ذلك ***الترتيب***؛ ليكون متى أشكل عليه شيء منه قصد إليه، ***فوجده في غريب ذلك المسند*** مفسرًا على حسب ما وجدنا بعد البحث عنه في مظانه والاجتهاد فيه".

وقد جاء الكتاب في قسمين ظاهرين، هما: قسم مسانيد الرجال من الصحابة وقسم مسانيد النساء من الصحابيات، وقد ابتدأ في مسانيد

الرجال بالأربعة الخلفاء، وابتدأ بمسانيد أمهات المؤمنين مفتتحًا بحديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا في مسانيد النساء.

وهو فيما يظهر المسانيد وفق منهجية الطبقات، وهي منهجية متأثرة بعلم الحديث والتاريخ.

٢/ ٢,١

وقد سار على منهج الترتيب الفقهي؛ أي رتب الكتاب الشارح للغة الصحيحين أو أحدهما وفق ترتيب أبواب الصحيحين ما يلي:

- النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، للطاهر بن عاشور (رقم ١٣).

إذ يتضح من فحص الكتاب أن الطاهر بن عاشور أنه رتبه على وفاق ترتيب البخاري لأبواب كتابه، وهو يقول (ص٣): "من وحد إشكالًا في بعض الأحاديث وتطلب بيانًا له في موضع من كتابي فليتطلبه في مظنته من بابه، ولا يتيأس حتى يستقري الأبواب التي أخرجه البخاري فيها".

ويبدو أن كتاب تفسير غريب البخاري لابن الصابوني (رقم ٣٣) وشرح غريب البخاري لأبي الحسن الجياني (رقم ٦) والمفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم، لابن هشام الخضراوي (رقم ١١) انتهجت هذا النهج من الترتيب وفق المنهج الفقهي الذي أنتجه البخاري ومسلم في كتابيهما.

ويبدو أن هذا المنهج بتطبيقيه يستهدف خدمة النشاط التعليمي الذي يتغيا دراسة أحاديث هذه المدونات وفق المسانيد، ويستهدف رفع مستوى تحصيل المحصول من معانيها على وفاق ترتيبها في مظانها من الكتب التي رتبت الأحاديث وفق المسانيد، أو تحصيل مادة العلم فيها متابعة لترتيبها الفقهي وفق ترتيب أصحابها.

٢/ ٢ منهج الترتيب الهجائي الألفبائي المغربي

ظهرت تطبيقات منهج الترتيب الهجائي الألفبائي – على وفاق ترتيب حروف المعجم في المغرب – متأخرة عن تطبيقات منهج الترتيب الحديثي (المسانيدي/ والفقهي) وهو أمر يبدو منطقيًّا مع تطور الحركة العلمية واللغوية حول السنة النبوية؛ أي أن ظهور مصنفات خادمة لضبط الرواية، وتحصيل ما به ارتفاع غموض معجمها، وتراكيبها، ولغتها وفق ترتيب مدونات السنة – أسبق من ظهور المصنفات الخادمة للغة السنة المرتبة وفق النظام الألفبائي الذي يبدو تيسيريًّا يتوسع في خدمة دائرة المشتغلين بالحديث النبوي، والمحتاجين إليه في أي حقل.

وقد جاء على هذا النظام الهجائي الألفبائي المغربي ما يلي:

١. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (رقم ٧).

٢. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول (رقم ٩).

ويبدو أن كتاب الواعي (في غريب الحديث) لعبد الحق الإشبيلي، ينضوي تحت هذا المنهج، فقد جاء في بيان منهجه أنه سار سيرة كتاب

الغريبين للهروي [انظر: الدراسات اللغوية في الأندلس، ص/ ٨ ومعاجم غريب الحديث والأثر، ص ١٤٦].

يقول القاضي عياض [مشارق الأنوار ١/ ٥]: "أجمعت على تحصيل ما وقع من ذلك (شرح الغريب وتفسير اللغة) في الأمهات الثلاثة: الموطأ، لأبي عبد الله مالك بن أنس المدني، ***والجامع الصحيح***، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ***والمسند الصحيح***، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري؛ إذ هي ***أصول كل أصل***، ومنتهى كل عمل في هذا الباب".

وهذا نص واضح في أنه جامع للعناية بلغة الصحيحين.

ثم يقول في بيان منهج ترتيب مداخله [١/ ٦]: "ورأيت ***ترتيب تلك الكلمات على حروف المعجم أيسر للناظر***، وأقرب للطالب ... فبدأت بحرف الألف وختمت بالياء على ***ترتيب حروف المعجم عندنا***، ورتبت ثاني الكلمتين وثالثها من ذلك على ذلك الترتيب؛ رغبة في التسهيل للراغب والتقريب".

وهذا الترتيب هو:

الهمزة/ الباء/ التاء/ الثاء/ الجيم/ الحاء/ الخاء/ الدال/ الذال/ الراء/ الزاي/ الطاء/ الظاء/ الكاف/ اللام/ الميم/ النون/ الصاد/ الضاد/ العين/ الغين/ الفاء/ السين/ الهاء/ الواو/ الياء.

وعلى ذلك سار ابن قرقول في مطالع الأنوار، يقول [١/ ١٥٥]:

وإن هذه المنصفات الحديثية الثلاث: "هي كف الإسلام الحاوية لمعظم شرائعه وسننه في أحسن تصنيف، وأبدع نظام ... وهي "الموطأ" وصحيحا البخاري ومسلم - رحمهم الله".

ثم يقول: "انتدبت إلى بيان ما سمح به ذكري، واقتدحه فكري، ووعاه حفظي... ونسقت أبوابه على نسق حروف المعجم ***عندنا بالمغرب***".

ويتضح أمر عناية الخاصة بلغة الصحيحين في موضعين ظاهرين من هذين العملين المرجعيين، هما:

أولًا: خطاب المقدمة فيهما؛ حيث نصت كل مقدمة على عناية الكتابين بلغة الصحيحين، وبيان منهج ترتيب معالجة هذه المشكلات والغوامض اللغوية.

ثانيًا: خطاب العنوان؛ حيث نص عنوان كتاب ابن قرقول على عنايته بلغة الصحيحين.

ومن ثم فإن موجز بناء هذين المعجمين جاء متضمنًا ما يلي:

أ. البنية الكبرى (مقدمة/ ومتن)، ورتبت مداخله ألفبائيًّا مغربيًّا.

ب. البنية الصغرى (مجموعات المعلومات اللغوية للتعليق على بنية الكلمات أو شكلها وصيغها، والتعليق على معنى الكلمات، ودلالاتها).

٢/ ٣ منهج التصنيف العشوائي

ويقصد بهذا المنهج هو بناء الكتاب وإيراد أجزائه على ترتيب ملتزم، ويمثل هذا المنهج كتاب: التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، يقول الدكتور محسن عبد الرحمن في مقدمة التحقيق (١/ ٣٥): إن ابن مالك ***لم يقم كتابه على منهج واضح،*** ولم تتبين الطريقة السوية في البحث على الرغم من أهمية الموضوع .. فلا هو درس المسائل على حسب الموضوعات النحوية، ولا هو اقتفى أثر البخاري في تبويب "الجامع الصحيح".

ثم يقول (١/ ٣٦): "وبسبب غياب المنهج الواضح، فقد توزعت مسائل الموضوع الواحد على أكثر من باب".

وهذا الكلام – مع صحته – مخالف ما أورده محمد فؤاد عبد الباقي في مقدمة النسخة اليونينية [صحيح البخاري، كتاب الشعب، دار مطابع الشعب، القاهرة، د.ت]، يقول:

"وكتب الحافظ اليونيني على ظهر آخر ورقة من المجلد:

" بلغت مقابلة وتصحيحًا وإسماعًا بين يدي شيخنا... العلامة ... ابن مالك ... في المجلس الحادي والسبعين وهو يراعي قراءتي".

ويقول ابن مالك: "سمعت ما تضمنته هذا المجلد من صحيح البخاري – رضي الله عنه – بقراءة سيدنا في ***نسخ معتمد عليها،*** فكلما مر بهم لفظ ذو إشكال بينت فيه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمي بالعربية".

وهذا الكلام كان يلزم منه أن يأتي كتابه التوضيح مرتبًا على ترتيب البخاري في صحيحه.

ولكن يبدو أن حضور ابن مالك لمجالس تصحيح قراءة اليونيني شيء، وتأليف كتاب التوضيح شيء آخر، وأنهما عملان مختلفان فيما يبدو، وإن ظهرت قرينة نقول بتعالق الأمرين تمثلت في أن عدد المجالس كان واحدًا وسبعون مجلسًا، وعدد الأحاديث محل الاشتغال عليها في الكتاب التوضيح هو واحد وسبعون في نشرة الدكتور طه محسن عبد الرحمن ونشره محمد فؤاد عبد الباقي.

ومن الأمثلة الكاشفة عن منهج المعالجة لمشكلات الصحيح (ص٢٢٨ حديث ٥٨ وهو في صحيح البخاري ٣/ ١٦٣):

"ومنها (أي من المشكلات) قول عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ "إنك تبعثنا فننزل بقوم ***لا يقرونا*** " ...

قلت[ابن مالك]:

حذف نون الرفع في موضع المجرد والتخفيف ثابت في الكلام الفصيح نثره ونظمه؛ فمن ثبوته في النثر: "***لا يقرونا*** ".

وسبب هذا الحذف كراهية تفضيل النائب عن المندوب عنه، وذلك أن النون نائب عن الضمة، والضمة قد حذفت لمجرد التخفيف، كقراءة أبي عمرو بتسكين راء ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [سورة الأنعام ٦/ ١٠٩]".

فيتضح من هذا النص العلامات المنهجية التالية:

أولًا: ذكر القطعة من الحديث محل الإشكال.

ثانيًا: تفسير الإشكال بمؤشر لغوي يكشف عن بدء الجواب: وهو (قلت).

ثالثًا: تعليل الإشكال بالاحتجاج له، ومن المدهش الاحتجاج بنصوص الأحاديث محل الاشتغال بمشكلاتها، وهو أمر ليس غريبًا بعد تصحيحها رواية، على ما كان من مجالسه مع اليونيني.

رابعًا: تعليل الإشكال عقليًّا من باب العلة النحوية والقياس.

خامسًا: الاستشهاد في سياق التعليل العقلي بالقراءات.

ويكشف فحص منهجية ترتيب الكتب اللغوية المعجمية والنحوية الأندلسية التي ظهرت لخدمة لغة الصحيحين عن حزمة من العلامات، تتمثل فيما يلي:

١. استقرار المناهج التصنيفية الشائعة في عموم خريطة المنجز اللغوي بين المشرق والمغرب (موضوعي فقهي/ مسانيدي/ ألفبائي).

٢. ظهر نمط من رعاية المستعمل المغربي الأندلسي، وهو ما كشف عنه ترتيب المداخل في بعض معاجم غريب الحديث على وفاق الترتيب المغربي للألفبائية.

٣. ظهور علامات للتعاون بين علماء المشرق والمغرب، وظهور التقدير المتبادل بينهما.

٣/ مصادر تعيين مصادر دراسة لغة الصحيحين في الأندلس:

ثمة عدد من المظان يمكن أن تمثل مصادر للوقوف على مصادر دراسة لغة الصحيحين في الأندلس، نجملها فيما يلي:

٣/ ١ مصنفات موضوعات العلوم، بدءًا من الفهرست للنديم.

٣/ ٢ مصنفات الببليوجرافيا للتراث العربي، ككشف الظنون، لحاجي خليفة، وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين.

٣/ ٣ ما وصل إلينا من شروح على الصحيحين أو أحدهما لعلماء أندلسيين ومغاربة بشكل عام، وما وصل إلينا من كتب تفسر المشكل من جُمَلِهِمَا ... إلخ.

٣/ ٤ كتب مصطلح الحديث لمحدثين أندلسيين.

٣/ ٥ كتب طبقات العلماء ولاسيما اللغويين وتراجمهما.

ولاسيما معاجم النحويين واللغويين الأندلسيين، كالدكتور يوسف عيد والدكتور رجب عبد الجواد.

٣/ ٦ . كتب الدراسات اللسانية المعاصرة لمنجز الأندلسيين، من مثل ما كتبه: د. عبد العلي الودغيري في المعجم العربي في الأندلس، والدكتور رضا عبد الجليل الطيار في الدراسات اللغوية في الأندلس، والدكتور ألبير حبيب مطلق في الحركة اللغوية في الأندلس، والدكتور يوسف عيد في النشاط المعجمي في الأندلس. [انظر: قمر على الحمراء! العناية المعاصرة بتراجم اللغويين

والنحويين الأندلسيين دراسة في البحث المعجمي، د. خالد فهمي، مجلة الأندلس ع٦/ ٢٠١٧م، القاهرة، وفرع من الغصن الرطيب! تطور دراسة المعجمية العربية في الأندلس، وفي اللسانيات العربية المعاصرة، د. خالد فهمي، مجلة الأندلس، القاهرة، ٢٠١٨م].

وهذا المطلب في حاجة إلى دراسة موسعة تعنى بحدود دراسة مصادر فحص المنجز اللغوي الأندلسي حول الصحيحين، وما وصل إلينا منه، ومظان حفظه.

٤/ حركة العناية اللغوية بالصحيحين في الأندلس: خطاب الوظائف:

يمثل تحليل خطاب الوظائف مسألة مهمة ومنهجية للإفادة من تراث العناية الأندلسية بلغة الصحيحين، وفيما يلي رصد لأظهر الوظائف التي يمكن استثمار مصنفات الحركة اللغوية الأندلسية حول الصحيحين لتحقيقها:

٤/ ١ الوظيفة المعرفية (الحديثية/ الفقهية)

يظهر من تحليل مصنفات العناية بلغة الصحيحين نوع وعي بأن دراسة لغة هذين الكتابين الأصلين كان من باب النظر إليها بوصفها آلة تسهم في ضبط رواية الأحاديث منهما.

وهو الأمر الذي وقفنا عليه في الدور الذي نهض به جمال الدين ابن مالك الأندلسي في مجالس اليونيني الكثيرة التي كان يجلس فيها اليونيني

للإسماع، ويجلس فيها ابن مالك لمراقبة لغة الأحاديث، وضبطها من جهة اللسان.

وهذا الأمر ظاهر في بعض مقدمات التراث اللغوي الأندلسي حول الصحيحين، يقول ابن قرقول [مطالع الأنوار ١/ ١٥٧].

"ثم ليعلم قارئ هذا الكتب أني لم أضعه لشرح اللغات وتفسير المعاني، وتبيين وجوه الإعراب (وهو معالجة لكل هذا في الواقع)، بل ***لحفظ الرواية***، وتقييد السماع، وتمييز المشكل، وتقييد المهمل، وفتح ما استغلق من تلك اللغات، وتوجيه ما اختلفت فيه الروايات".

وهذا نص نفيس في بيان توظيف علوم اللسان في هذه المصنفات اللغوية حول الصحيحين للوصول إلى نص منضبط من جهة الرواية.

وهو في ذلك متأثر بشيخه القاضي عياض الذي يقرر الأمر نفسه من قبله في مقدمة [مشارق الأنوار ١/ ٧] حيث يقول: "لم نضع كتابنا هذا ***لشرح لغة وتفسير معان*** (وهو في ذلك واقعًا) بل لتقويم ألفاظ وإتقان"!

وهذه الوظيفة تكشف عن فارق منهجي بين الأعمال اللغوية والمعجمية في ذلك الزمان، وغيرها من الأعمال اللسانية في الأزمنة المتأخرة.

ويرتبط بهذه الوظيفة المعرفية التي تتقدم فيها اللغة خادمة للحديث النبوي من جهة الرواية والضبط، وظيفة أخرى معرفية تتعلق بإقامة الدليل اللغوي لمساندة الاستنباط الفقهي من هذه الأحاديث المدونة في هذين الأصلين الصحيحين الجامعين للملة.

ومن وجوه هذه الوظيفة المعرفية احتفاظ المصنفات اللغوية حول الصحيحين في الأندلس بنصوص من كتب في حكم المفقودة، فقد نقلت الكتب اللغوية الأندلسية حول الصحيحين نصوصًا من كتب مثل: تفسير غريب البخاري، لابن الصابوني الأندلسي، فقد نقل منه القاضي عياض في المشارق؛ الأمر الذي يجعل من المشارق مصدرًا أصيلًا لأمثال هذه النصوص المنقولة عن كتب فقدت ولم تصل.

كذلك الأمر مع النصوص المنقولة في المشارق وغيره من غريب الحديث للحشني [انظر: مشارق الأنوار ١/ ١٠٨].

وشرح غريب البخاري للجياني [انظر: مشارق الأنوار ١/ ٣٤٧].

٤/ ٢ الوظيفة التعليمية

إن تنوع مناهج بناء هذه الكتب اللغوية الأندلسية حول الصحيحين تكشف من خلال تعليل مقدماتها لاختياراتها المنهجية عن حضور وظيفتين تتعلقان تعلقًا مباشرًا بالطلب والتحصيل والتعليم، وهما:

أولًا: التيسير المطلق على المستعملين لهذين الصحيحين، والراغبين في التعاطي مع الكتب التي تشرح غريبهما، وتفسر غامض تراكيبهما، وهو ما وقفنا عليه عند تعليل من اختار منهج الترتيب الألفبائي المغربي.

ثانيًا: تلبية حاجات القارئين والسامعين لمتون الصحيحين، أو لما أعيد ترتيبه منهما على منهج الترتيب الحديثي بفرعيه المسانيدي/ والفقهي.

ومن ذلك نرى أن واحدة من أظهر وظائف المنجز اللغوي الأندلسي على الصحيحين كان يستهدف تحسن تحصيل الطلاب المشتغلين

بالصحيحين على صورتهما التي صنفها عليهما البخاري ومسلم، أو على الصورة المعاد ترتيبها أو ترتيب أحدهما عليها، وهو منهج المسانيد، وهو ما يعكس الحرص على تيسير الفهم للصحيحين من كل سبيل والوظيفة التعليمية/ البيداجوجية وظيفة مركزية حاضرة بامتياز في القلب من عمل اللغويين حول الصحيحين وغيرهما في المغرب والأندلس وغيرهما من مدن العلم في الحضارة العربية الإسلامية.

٤/ ٣ الوظيفة الحضارية (والسياسية)

يكشف فحص عدد من المصنفات اللغوية حول الصحيحين عن علاقات علمية بين علماء المشرق والمغرب.

ودراسة هذه المصنفات ربما يكشف عن دور مهم للعلم في توحيد مجتمعات الأمة العربية الإسلامية، انطلاقًا من خدمة العلم ممثلًا في أصوله المجمع عليها في الأمة، كما يكشف تحليل خطاب المصادر التي اعتمدت عليها في بناء مادتها عن حضور طاغ لمصادر لغوية ***مشرقية*** نهضت لشرح غريب الصحيحين، لأبي عبيد، وابن قتيبة وغيرهما.

٥/ خاتمة

تناول هذا البحث نقطة ضيقة تتعلق بدراسة الحركة اللغوية الأندلسية حول الصحيحين، وقد حقق البحث مطلوبه من خلال فحص ما يلي:

٠/ مدخل في الوعي بمنزلة الصحيحين في الأندلس.

١/ حدود العناية بلغة الصحيحين: من منظور تاريخي وتصنيفي.

٢/ مناهج الأندلسيين في التصنيف اللغوي حول الصحيحين.

٣/ مظان تعيين مصادر دراسة لغة الصحيحين في الأندلس.

٤/ وظائف الحركة اللغوية حول الصحيحين في الأندلس.

وقد اجتهدت هذه الورقة في سد الفراغ المعاصر في هذه القضية؛ إذ لم تظهر محاولات لدراسة هذه الحركة اللغوية، ممتدة، وراصدة.

صحيح أن ثمة مقالة عالجت طرفًا من هذه المسألة، هي: (الجهود العلمية المتعلقة بصحيح البخاري في المغرب والأندلس في القرن الخامس الهجري) للدكتور محمد عبد الله أحمد المولى [مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج ٨ ع ١٥/ ٢ لسنة ١٤٣٥هـ = ٢١٠٤م، الموصل، العراق].

وهي بعد الفحص تفارق عملنا من عدة وجوه هي:

أولًا: ضيق الحدود الزمانية (ق٥هـ) فقط.

ثانيًا: ضيق الحدود الموضوعية (جاءت وقفًا على صحيح البخاري فقط).

ثالثًا: عدم إخلاصها للحركة اللغوية، كما كان منا.

وفيما يلي بيان بعدد من النتائج التي توصل إليها بحثنا:

١. ظهور الوعي المبكر بمنزلة الصحيحين في الأندلس.

٢. امتداد حدود العناية بشرح لغة الصحيحين في الأندلس زمنيًا.

٣. التنوع المنهجي التصنيفي لجهود الأندلسيين في خدمة لغة الصحيحين، تنوعًا ظهر في المنهج الحديثي المسانيدي والفقهي، والمنهج

الألفبائي المغربي، والتصنيف العشوائي من جانب، والمختلط والمستقل والمفرد من جانب آخر.

٤. ظهور نوع علاقات علمية بين المشارقة والمغاربة في خدمة لغة الصحيحين.

٥. تنوع مظان الحصول على مصادر دراسة لغة الصحيحين في الأندلس.

٦. تنوع الدور الوظيفي لمصنفات الحركة اللغوية حول الصحيحين في الأندلس.

المصادر:

١. بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، للقاضي عياض، تحقيق صلاح الدين أحمد الإدلبي، ومحمد الحسن أجانف، ومحمد عبد السلام الشرقاوي، سبتة، المغرب، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

٢. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، للحميدي، تحقيق الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، تقديم د. شعبان محمد مرسي، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٣. صحيح البخاري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٤. صحيح البخاري، نسخة اليونيني، دار مطابع الشعب، القاهرة، د.ت.

٥. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق د. طه محسن، بغداد، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٦. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، اعتنى بنشره محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٥٧م، مصورة مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت بلا تاريخ.

٧. كتاب الدلائل في غريب الحديث، للسرقسطي، تحقيق د. محمد عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة، دار التراث، تونس، القاهرة، ١٣٣٣هـ.

٩. معاجم غريب الحديث والأثر والاستشهاد بالحديث في اللغة والنحو، للدكتور السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ = ٢٠٠٠م.

١٠. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، تحقيق دار الفلاح، دولة قطر، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

١١. النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، للطاهر بن عاشور، دار سحنون، دار السلام، تونس، القاهرة، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

الفصل الثالث

المعجمية العربية الاصطلاحية بالأندلس: حدودها ومصادرها، ووظائفها، ومصادرها

٠/ مدخل: وما تزال الحقيبة فارغة!:

في الكتاب الذي ألفه الدكتور علي الودغيري بعنوان: المعجم العربي في الأندلس [مسكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط١ سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م] أفرد فصلًا بعنوان: نحو معجم متخصص (ص ٩٧- ١١٧).

عالج فيه ما يلي:

أولًا: نحو معاجم الأبنية (كتب الأفعال/ وكتب الأسماء).

ثانيًا: نحو معاجم الغريبين.

ثالثًا: نحو معاجم للطب والصيدلة (الجامع لابن البيطار).

والحقيقة أنه لا يسلم له من المعاجم المتخصصة إلا ما جاء في الفقرة (ثالثًا) هنا، وهو ما يعني وجود اضطراب في تصور المعجمية المتخصصة على نحو ما.

ينضاف إلى ذلك ظهور قصور ضخم في بيان حدود المعجمية الاصطلاحية الأندلسية.

ثم جاء الدكتور يوسف عيد بكتابه: النشاط المعجمي في الأندلس [دار الجيل، بيروت، ط١ سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م] فلم يشر من قريب ولا من بعيد عن أي علامات للنشاط المعجمي الاصطلاحي في الأندلس!.

وجاء بعدهما سنة ١٩٩٣م د. مصطفى إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكتب في (صناعة المعجم الجغرافي في التراث العربي، المنصورة، مصر، د.ت) ص ١١ وما بعدها، فخصص جزءًا منه لدراسة المعجم العربي الجغرافي في الأندلس مثلًا في معجم ما استعجم للبكري، والروض المعطار للحميري بوصفهما من المعاجم المختصة وفق المفهوم المتسع للمعجم المختص.

ومن هنا فإن الدافع وارء إنجاز هذا البحث/ أو الفصل ظاهر جدًّا يتمثل في الفراغ الحقيقي غير المدعى في مجال الدراسات المعجمية الاصطلاحية الأندلسية.

وهو ما حملنا على أن نعنون هذا المدخل بعنوان: وما تزال الحقيبة فارغة!. على الرغم من قسوة العبارة إلى حد ما.

١/ المعجمية الاصطلاحية في الأندلس: مقالة في خطاب الحدود:

في هذه النقطة من الفصل نقف أمام رصد يستهدف ترسيم حدود لخريطة المعجمية الاصطلاحية في الأندلس يمكن بيانها فيما يلي:

١/ ١ العناية بمصطلحيات العلوم في كتب تصنيف العلوم أو موضوعاتها في الأندلس

لقد ظهر نوع عناية بمصطلحيات العلوم في مصنفات تصنيف العلوم أو موضوعاتها التي ألفها أندلسيون، على ما نرى في كتاب (طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي، ت ٤٦٢هـ = ١٠٦٩م [تحقيق حياة العيد بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٩م].

لقد أورد مجموعات من مصطلحات العلوم المتنوعة في سياق بيان تقسيمات هذه العلوم وتفريعاتها، يصح معها وصفه بأنه مصدر من مصادر معالجة مصطلحات العلوم المتنوعة بصورة ثانوية [انظر: معاجم المصطلحيات في تراث العربية، للدكتور خالد فهمي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٢هـ = ٢٠١٣م (ص٤١ - ٤٢)].

١/ ٢ العناية بمصطلحات العلوم المتنوعة في معاجم جامعة لها

لقد ظهرت معاجم مصطلحيات جمعت قطاعات أو مجموعات من مصطلحيات العلوم المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية، ومن ذلك معجم التعريفات أو الحدود والرسوم، لإسحاق بن سليمان الإسرائيلي القيرواني (٣٢٠هـ = ٩٣٢م).

وهذا المعجم "نشره هرتويج هرشفلد (ت ١٩٤٣م) في لندن ١٨٩٦م، كما ذكر د. علي إبراهيم النملة، في كتابه: (المستشرقون ونشر التراث، الرياض، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٦م (ص١٠٦) ونجيب العقيقي في كتابه: المستشرقون ٢/ ٤٠٠، وقرر أنه نشره في الكتاب التذكاري لشتانشنايدر" [انظر: معاجم المصطلحيات في تراث العربية (ص٢٤)].

١/ ٣ العناية بمصطحات كل علم بعينه في معجمات خاصة بمصطلحيته

من جانب أخير، فقد ظهرت عناية الأندلسيين بالمعجمية الاصطلاحية التي أفردت مصطلحية كل علم بمعجمات مستقلة مغلقة عليها.

ولهذا الجانب تجليات كثيرة يمكن بيانها فيما يلي:

١/ ١,٣ معجمات مصطلحات أصول الفقه:

صنف الأندلسيون معجمات جامعة لمصطلحات أصول الفقه، نذكر منها:

أ. ٤٧٦هـ = ١٠٨٣م/ الحدود في الأصول، لأبي الوليد الباجي الأندلسي [حققه د. نزيه حماد، ونشره في دمشق ١٣٩٢هـ، ثم صورته دار الآفاق العربية بالقاهرة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م].

ب. ٧٩٩هـ/ كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، لابن فرحون الأندلسي الجياني [حققه حمزة أبو فارس، ود. محمد عبد السلام، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م].

[انظر: المعاجم الأصولية في العربية، للدكتور خالد فهمي، دار المقاصد، القاهرة، ط٢ سنة ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م (ص٣٦،٣)].

كما ظهر نوع عناية بمصطلحية أصول الفقه في عدد من كتب الأصول على ما نرى في مقدمة الإحكام لابن حزم.

١/ ٢,٣ معجمات مصطلحات الفقه:

صنف الأندلسيون كذلك معجمات مستقلة مفردة لمصطلحات الفقه، ومن ذلك:

أ. شرح غريب الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني، للمفراوي [حققه د. الهادي حمو، و د. محمد أبو الأجفان، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ثم ١٩٩٧م].

ب. شرح غريب ألفاظ المدونة، للجبي التونسي [حققه محمد محفوظ، ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م].

ج. ٥٤٣هـ = ١١٤٨م/ شرح غريب الرسالة، لابن العربي المعافري الإشبيلي، [انظر: معجم المطبوعات العربية والمعرفة (١/ ١٧٤)].

د. ٨٩٤هـ = ١٤٨٨م/ شرح حدود ابن عرفة، للرصاع التونسي التلمساني [حققه محمد العنابي، بتونس ١٩٦٧م، ثم حققه د. محمد أبو الأجفان، د. الطاهر المعموري ونشرته دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م].

ويلاحظ على هذه القائمة إخلاصها للمصطلح الفقهي المالكي الذي كان شائعًا في الأندلس والمغرب العربي.

١/ ٣,٣ العناية بمصطلحية علم الحديث النبوي:

لقد ظهرت صور كثيرة للعناية بمصطلحية الحديث النبوي فيما صنفه الأندلسيون من كتب مصطلح الحديث من مثل ما جاء في الكتب التالية:

أ. ٤٤٤هـ = ١٠٥٢م/ رسالة في رسوم الحديث، أو جزء في بيان المتصل والموقوف والمنقطع، لأبي عمرو الداني الأندلسي.

ب. ٥٤٤هـ = ١١٤٩م/ الإلماع إلى معرفة أصول الرؤية وتقييد السماع، للقاضي عياض اليحصبي السبتي.

ج. ١٠٥٢هـ = ١٦٤٢م/ طرفة الطرف في مصطلح من سلف، لأبي المحاسن يوسف الفاسي.

صحيح أنني لم أعد مصنفات علم مصطلح الحديث معجمات اصطلاحية، لكنني عددتها مصادر تضم مجموعات من مصطلحات هذا العلم على ما كان مني في كتابي [معاجم المصطلحات الحديثية العربية المعاصرة، دار المقاصد، القاهرة ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م (٥٢ -٩١)].

١/ ٣,٤ العناية بمصطلحات علم التصوف:

صنف الأندلسيون معجمات جامعة لمصطلحات علم التصوف، وحرروا مفاهيمها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- ٦٣٨هـ=١٢٤٠م/ اصطلاح الصوفية، لمحيي الدين بن عربي الأندلسي، يقول ابن عربي [اصطلاح الصوفية، رسائل ابن عربي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م]:

هذا شرح الألفاظ التي تداولها الصوفية المحققون من أهل الله ... التي نفهم بعضًا عن بعض كما جرت عادة أهل فن من العلوم".

وقد أشار أحمد الشرقاوي إقبال في [معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط٢) ١٩٩٣م (ص٤٨)] إلى غير اصطلاحات ابن عربي من المعاجم الصوفية الأندلسية الأخرى، مثل:

- النبذة الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية، لمحمد بن سليمان الحميري المعافري الشاطبي (٦٧٢هـ = ١٢٧٣م).

١/ ٣,٥ العناية بمصطلحية علم العربية أو النحو:

لم تقف العناية بمصطلحات العلوم في المعجمية الاصطلاحية الأندلسية عند حدود خدمة علوم الشريعة والدين بالمعنى المغلق الضيق،

ولكن تجاوزتها إلى خدمة علوم العربية بوصفها علوم آلات خادمة لهذه العلوم الشرعية، ومن العلوم التي ظهرت معجمات للعناية بمصطلحاتها وتحرير مفاهيمها: علم العربية والنحو، ومن المعاجم الاصطلاحية لمصطلحات النحو في المغرب والأندلس ما يلي:

١- ٨٥٤هـ = ١٤٥٠م/ رسالة في الحدود النحوية للقاسم بن سعيد العقباني الأندلسي التلمساني [حققها إبراهيم بن سليمان البعيمي، مجلة عالم المخطوطانت والنوادر، مج ٧ ع٢ رجب ١٤٢٣هـ = سبتمبر ٢٠٠٣م].

٢- ٨٦٠هـ = ١٤٥٥م/ حدود النحو، للأبذي الأندلسي ثم المصري [حققه د. خالد فهمي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م].

٣- ٨٩٩هـ = ١٤٩٣م/ الحدود النحوية، لزورق الفاسي، [حققه د. خالد فهمي، ود. رجب رشاد، مكتبة الأكاديمية الحديثة، للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٥م]، ويلحق بهذه الكتب الثلاثة ما يلي:

١٠٤٩هـ = ١٦٣٩م/ شرح حدود الأبذي، للجزولي الرسموكي المغربي، [حققه د. خالد فهمي، و د. رجب رشاد، مكتبة الأكاديمية الحديثة، القاهرة، ٢٠١٥م].

١/ ٦,٣. العناية بمصطلحات الطب والصيدلة (الأدوية):

سبق أن أشرنا هنا في مدخل هذا البحث إلى ما قرره الدكتور علي الودغيري بشأن معاجم الطب والصدلة (المعجم العربي للأندلس ص ١١٤- ١١٧)، وحديثه عن معجم الجامع لابن البيطار (ت ٦٤٤هـ = ١٢٤٦م) وحده.

والحقيقة أن هناك أعمالًا معجمية أخرى في هذا الميدان غير كتاب ابن البيطار ومنها:

- في الأدوية المفردة/ تفسير كتاب دياسقور ديوس، لابن البيطار المالقي [تحقيق د. إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م]، يقول المحقق (ص ٦٤): "وموضوعه (أي الكتاب) إذن الأدوية المفردة"، ويقول ابن البيطار (ص١٠٩): "إني لما وقفت من كتاب الفاضل دياسقور يدوس على ما تقصر عنه همم جماعة من المتشوقين ورأيت استقحام أسماء أشجاره وحشائشه على كافة المتعلمين وعامة الشادين وتداري حقائقه عن غير واحد من الشجارين والمتطببين - عزمت بعون الله – تعالى - على تقريب المرام في ترجمته، وتسهيل المطلب في تفسير أسماء أدويته".

ومما يمكن أن يلحق بهذا الحقل كتاب أعمار الأدوية، للرندي الأندلسي الذي تضمن عددًا كبيرًا من أسماء الأدوية المعدنية والحيوانية والنباتية [انظر: أعمار الأدوية، للرندي، تحقيق صابر إدريس، ضمن رسائل في الطب، مكتبة أبوللو للنشر، القاهرة، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م (ص ٨٠ – ٩٠)].

١/ ٧,٣. العناية بمصطلحات علم المعادن (فرع من الجيولوجيا):

لقد ظهر نوع عناية بجمع ألفاظ الأحجار والمعادن في الحضارة العربية في المغرب والأندلس، يمكن أن تعد بعضها أعمالًا جمعية تقترب من مفهوم المعجمات الموسوعية، من مثل:

– كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، للتيفاشي التونسي، ت ٦١٥هـ = ١٢١٨م يقول [أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، تحقيق د. محمد

يوسف حسن ود. محمود بسيوني خفاجي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، (ص ٣٧): "هذا كتاب غريب عجيب الجمع عظيم النفع، ضمنته ذكر الأحجار ... وسبيلنا أن نتكلم عن واحد من هذه الأحجار المعدودة بشرح لغة ما له لغة منها في لسان العرب من خمسة وجوه: الأول: علة تكونه في معدنه، والثاني: ذكر معدنه، والثالث: ذكر جيده ورديئه، والرابع: ذكر خواصه ومنافعه، والخامس: ذكر قيمته".

ملاحظات:

إن هذه القائمة الأولية قابلة للزيادة - بكل تأكيد - عند التفرغ لها، وهو أمر يفتح الباب أمام دراسة مستوعبة للمعجم العربي المختص (الاصطلاحي) في الأندلس من شأنه أن يكمل الحلقة الناقصة إلى الآن في دراسة تاريخ هذا الجانب في المعجمية الأندلسية في العصر الحديث.

وهذه القائمة قابلة للزيادة من جانب آخر إذا توسعنا في مفهوم المعجمية المختصة، ولم نجعلها وقفًا على مصطلحات العلوم المختلفة في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، فإذا كان دخلت معجمات الألفاظ الحضارية كالطبيخ، الرياحين والعطور، ومعجمات الجغرافيا والبلدانيات، ومعجمات الأنواء والأزمنة، إلى غير ذلك، ومراجعة كتاب محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، للويس ماسينون تكشف عن هذا الاتساع الذي نقرره؛ مما يرشح هذه القائمة للطول بصورة كبيرة [محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية، تحقيق د. زينب خضيري، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة د.ت].

ومن المدهش أن يسهم الأندلسيون – في بعض المجالات - بمعجمات اصطلاحية قبل سهمة المشارقة على ما نرى في ظهور معاجم المصطلحيات ممثلة في التعريفات لابن إسحاق الإسرائيلي (٣٢٠هـ = ١٩٣٢م) قبل ظهور مفاتيح العلوم للخوارزمي (٣٨٧هـ = ٩٩٧م) بنحو سبعين عامًا كاملة!.

وقد لوحظ مما سبق تنوع المجالات المعرفية التي خدمتها المعجمية الاصطلاحية الأندلسية وتوزعها على الحقول المعرفية الثلاثة العلوية الكبرى في تاريخ العلم عند العرب المسلمين، وهي:

أولًا: حقل علوم الشريعة (أصولًا وفقهًا وحديثًا وتصوفًا).

ثانيًا: حقل علوم العربية (ولاسيما النحو).

ثالثًا: حقل علوم الحكمة (الطب والصيدلة والجيولوجيا).

كان ظاهرًا جدًّا أثر الاتصال الجغرافي والحضاري والسياسي بين الأندلس والمغرب في حركة التصنيف في المعجمية الاصطلاحية في هذا الجانب من جغرافية العالم الإسلامي، مما يصعب معه الفصل بين المغرب والأندلس.

٢/ المعجمية العربية الاصطلاحية بالأندلس: خطاب المناهج والتصنيف أو أنظمة الترتيب:

نستطيع أن نقرر في هذا الجزء من البحث/ الفصل أمرين ظاهرين جدًّا في تحليل خطاب أنظمة الترتيب في المعاجم الاصطلاحية في المغرب والأندلس، هما:

أولًا: مواكبة هذه الأنظمة الترتيبية للمداخل – في الغالب – مع الأغراض التي استهدف صناعها تقديمها لجمهور المستعملين المستهدفين، وهو أمر تكشف عنه دراسة مقدمات هذه المعاجم بصورة واضحة.

ثانيًا: الحضور الطاغي للوظيفة التعليمية بمعناها المتسع الذي يتغيا الإعانة على التحصيل الدراسي العام في توجهه لخدمة تحسين التحصيل لمفاهيم حقل علمي بعينه، أو الخاص في تعوجهه لخدمة تحسين تحصيل المفاهيم التي جاء بها كتاب بعينه هذا جانب.

ومن جانب آخر، يظهر الحضور القوي للوظيفة التيسيرية التي تتجلى في اتجاهات كثيرة ترعى منظور المستعمل بامتياز.

وفحص القوائم الكلية السابقة لأنماط العناية بمصطلحات العلوم المختلفة في صورة تصنيف معجمات اصطلاحية أو مختصة في المغرب والأندلس، التي جردنا في ثمانية عنوانات سابقة توزعت على معاجم للمصطلحيات وأخرى تفرغت كل مجموعة منها لخدمة مصطلحات علم واحد بعينه = يكشف عن توظيف لمناهج التصنيف وأنظمة ترتيب المداخل التالية:

٢/ ١. نظام ترتيب المداخل العلمي/ الموضوعي

مثل اختيار نظام ترتيب المداخل في المعاجم الاصطلاحية أو المختصة على وفاق ترتيب ورودها في العلم أو الحقل أو الكتاب مشغلة تحرير مفاهيم مصطلحاته الاختيار الأكثر تجليًا وحضورًا في قوائم معجمات المصطلحات في المغرب والأندلس، وفيما يلي تمثيل على ذلك:

أولًا: رتب أبو الوليد الباجي معجمه: الحدود في الأصول مداخله على وفاق الترتيب الأصولي الخالص؛ أي على وفاق الترتيب المتبع في كتب القوم الأصوليين.

ورتب ابن فرحون معجمه: كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب - مراعيًّا ترتيب المصطلحات الأصولية في الكتاب الذي يحرر مفاهيم المصطلحات التي وردت فيه، فجاء ترتيبه أصوليًّا كتابيًّا بهذا المعنى.

ثانيًا: رتب الرصاع التونسي في معجمه الذي يشرح فيه حدود الفقه في كتاب ابن عرفة الورغمي مراعيًّا ترتيب ورودها في هذا الكتاب.

ورتب المفراوي المصطلحات الفقهية التي يشرحها من كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني مراعيًّا ترتيب ورورِدها فيها.

كما رتب الجبي التونسي المصطلحات الفقهية التي حرر مفاهيمها مراعيًا ترتيبها في أبوابها من المدونة للإمام سحنون.

وبذلك تكون معجمات الفقه الأندلسية جاءت مخلصة للترتيب الموضوعي الذي يراعي ترتيب المصطلحات في الكتب الفقهية محل الاشتغال على مصطلحاتها وتحرير مفاهيمها.

ثالثًا: وفيما يتعلق بمعجمات المصطلح النحوي التي ظهرت في المغرب والأندلس، فإن الأمر قريب مما كان في الترتيب في الحقلين السابقين؛ فقد ظهر من المعجمات الأربعة التي أشرنا إليها سلفًا للعقباني، والأبذي،

وزورق الفاسي، والجزولي الرسموكي – ترتيب المصطلحات النحوية فيها ترتيبًا موضوعيًّا أقرب لترتيبها في كتب القوم النحوية.

رابعًا: كما يظهر من ترتيب ابن البيطار المالقي المداخل التي فسرها من كتاب دياسقور يدوس على وفاق نظام ترتيب ورورودها في هذا الكتاب.

وهو فيما يبدو استهدف بهذا المنهج خدمة هذا الكتاب بوصفه مصدرًا أساسيًّا في علم الأدوية، يقول ابن البيطار (ص ١٠٩): "عزمت بعون الله – تعالى – على تقريب المرام في تسهيل المطلب في تفسير أسماء أدويته؛ لأكشف عن وجه مقاصده قناع عجمته، وأبرزه كالبدر في هالته، وهو الأمر الذي تجلى في الترتيب التالي:

١. تفسير المقالة الأولى (١٤٢ مدخل).
٢. تفسير المقالة الثانية (١٦٧ مدخل).
٣. تفسير المقالة الثالثة (١٥٣ مدخل).
٤. تفسير المقالة الرابعة (٩٢ مدخلًا).

وفي المعجمات الاصطلاحية التي قسمها أصحابها إلى أبواب وفصول جاءت هذه الأبواب، وقد روعي ترتيبها كذلك نظام الترتيب الموضوعي أو العلمي الفاشي في كتب القوم في كل حقل علمي.

وهذه التطبيقات في المجالات العلمية الأربعة أصولًا وفقهًا ونحوًا وصيدلة تكشف عن الحضور الطاغي لخدمة الأغراض العلمية في سياق يحتفي احتفاء بالغًا بمطالب خدمة التعليم، وتحسين التحصيل الدارسي، إن

على مستوى تعلم المعين، وإن على مستوى كتاب بعينه له وزنه ومنزلته في حقله العلمي محل الاشتغال على جهازه الاصطلاحي.

ولم يظهر تطبيق نظام آخر من أنظمة ترتيب المداخل في المعجمية الاصطلاحية أو المختصة في الأندلس.

صحيح أنه يمكن النظر إلى بعض من المعجمات بوصفها نماذج لتطبيقات نظام الترتيب العشوائي، على ما يمكن أن نراه في اصطلاحات الصوفية لمحيي الدين بن عربي، لكن القول باتباع معجم بالنظام الترتيب العشوائي أمر خطير وصعب جدًّا؛ ولذلك فمن الأسلم الميل إلى إقرار متابعته لنظام الترتيب (شبه الموضوعي) الذي يرتب فيه هذا العالم أو ذلك مصطلحات معجمه وفق المستقر في عقله من الترتيب الموضوعي المتبع في ترتيب أبواب العلم، وفصوله، وإن لم ينص على ذلك فثمة قرينة خارجية تتمثل في حضور نمط من الترتيب الموضوعي العلمي مرجعه لطول الإلف بالاشتغال بالمفاهيم والحقائق في هذا العلم أو ذاك، وهو على كل حال من حمل الأمر على عشوائية نظام الترتيب.

٣/ المعجمية العربية الاصطلاحية في الأندلس: خطاب المصادر:

إن اتساع جغرافية المعجمية الاصطلاحية في المغرب والأندلس من جانب والفراغ التام الذي تعاني منه المكتبة المعجمية في الدراسات اللسانية والمعجمية في الثقافة العربية المعاصرة يفرضان ضرورة الدلالة على مصادر تحصيل أنواع المعجمات الاصطلاحية، والإعانة على صناعة قوائم مستوعبة قدر الإمكان لما صنف في هذه البقعة من خريطة الأمة العربية الإسلامية.

ويمكن الدلالة على كليات المصادر التي تعين على تحقيق هذه الغاية فيما يلي:

٣/ ١ المصادر والمصنفات في موضوعات العلوم وتصنيفها، ولاسيما في المغرب والأندلس.

٣/ ٢ مصنفات تراجم العلماء والحكماء في الأندلس، من مثل: طبقات الأطباء والحكماء، لابن جلجل (ت٣٧٧هـ = ٩٨٧م)، فقد أورد عددًا كبيرًا من المعجمات الاصطلاحية الأندلسية، من مثل:

أ. الأغذية والأدوية، لإسحاق بن سليمان (الإسرائيلي) (ص ٨٧).

ب. الحدود، له أيضًا (ص ٨٧).

فضلًا عن تراجم العلماء التي صنفها مشارقة - بطبيعة الحال - كطبقات الحكماء للوزير القفطي، وغير ذلك.

٣/ ٣ مصنفات تاريخ العلم في المغرب والأندلس.

٣/ ٤ ببليوجرافيات المعاجم المعاصرة، من مثل: معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي إقبال وغيره.

٣/ ٥. المحقق من معاجم المصطلحات المغربية والأندلسية، ومصادرها التي نقلت منها مادتها وشروحها.

٣/ ٦. الدراسات المعاصرة للمعجم العربي في الأندلس.

٣/ ٧. فهارس مكتبات المخطوطات وخزائنها المختلفة، ولاسيما في المغرب العربي وإسبانيا المعاصرة.

٤/ المعجمية العربية الاصطلاحية الأندلسية: خطاب الوظائف:

إن تحليل خطاب الوظائف في هذا الحقل الوليد للسانيات الأندلسية الذي نروم تأسيسه على غرار حقول معرفية مستقرة، وتشهد تطورًا ملموسًا، من مثل: الأدب الأندلسي، والتاريخ الأندلسي، والفكر الأندلسي - يفرض فرزًا لوظائف وتعيين المركزي منها؛ ليعين ذلك على التهدي لهذا التأسيس على أساس قويم.

وفيما يلي بيان بأهم هذه الوظائف:

٤/ ١ الوظيفة التاريخية

لقد منح الأندلس للأمة العربية ثروة علمية حقيقية كانت في كثير من الأحيان ثروة جديدة أصيلة، ولم تكن مجرد امتداد باهت أو اجترار فاقد القيمة لمنجز المشرق.

ودراسة المعجم العربي الاصطلاحي الأندلسي مقدمة ضرورية لدراسة أبعاد هذه الوظيفة التاريخية العلمية وتقويمها، والحكم عليها، واستبقاء المتبقي منها، واستلهامه.

تاريخ العلم في الحضارة العربية الإسلامية لا يمكن استكمال كتابته من دون فحص دقيق لعمليات خدمة الأجهزة الاصطلاحية للعلوم المختلفة التي ظهرت في المغرب والأندلس، وهو بعض ما نتوقعه من نتائج العناية بدراسات المعجمية الاصطلاحية أو المختصة في الأندلس.

وفي هذه الدراسة (العجلى) تكشف لنا سبق الأندلسيين أقرانهم المشارقة في ميدان التصنيف المعجمي في معاجم المصطلحيات التي اعتنت بجمع مصطلحات العلوم المختلفة، على ما رأينا في عمل إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت ٣٢٠هـ = ٩٣٢م) الموسوم: بالتعريفات أو الحدود والرسوم!.

فضلًا عن نتائج أخرى كثيرة متعلقة بأصالة الخدمة المصطلحية لمذاهب علمية بعينها حظيت فيها المغرب والأندلس بنصيب معلوم فائق مقارنة بنصيب المشرق العربي، على ما نرى في معجمات المصطلحات الفقهية الخادمة للمذهب المالكي وكتبه الأصول على وجه التعيين والخصوص!.

٤/ ٢ الوظيفة الحضارية

لقد سقطت الأندلس سقوطًا مدويًّا بعد نحو من سبعة قرون كاملة من الحياة والعمران والإنجاز العلمي والحضاري.

ولم يزل هذا السقوط بأجوائه، وأصدائه، وآثاره النفسية والحضارية مشغلة الناس.

وربما منحت دراسات المعجم العربي العلمي أو الاصطلاحي أو المختص في الأندلس بعضًا من الرؤى والتفسيرات لهذا السقوط المدوي.

وثمة أسئلة كثيرة يمكن إطلاقها في هذا السياق، من مثل: هل كان حرص المعجمية المصطلحية في الأندلس على التميز عاملًا من عوامل

انفصال عن المشرق الإسلامي؟ أم كان هذا الحرص على التميز نمطًا من أنماط التوجه إلى إنجاز ما قصر فيه المشرق الإسلامي، فلم ينجزه؟ وهل كان الشعور بالتأخر الأندلسي سببًا في مادة الاغتراب عن المشرق؟ أم كان التعالي المشرقي سببًا في تعميق الهوة والفجوة بين جناحي الجغرافيا الإسلامية؟

٤/ ٣ الوظيفة المعرفية

لقد تأسست مدارس أندلسية علمية، سواء كان هذا التأسيس قائمًا على أصول ومرتكزات ومبادئ علمية أو لا.

وهذا التأسيس له شواهد في حقول معرفية شرعية، كتفوق المغاربة والأندلسيين في فقه العمران والنوازل مثلًا، وحقول معرفية عربية على ما يتعاطاه الدارسون في النحو واللغة من وجوه مدرسة أندلسية، وحقول معرفية تطبيقية حكمية على ما يظهر من سهمة الأندلسيين في الطب والأدوية والفلاحة (أو الزراعة).

وقد نتج من هذه الصور التأسيسية لمدارس أندلسية في حقول العلم المختلفة في الحضارة العربية في الأندلس ظهور معاجم مختصة بجرد مصطلحيات هذه العلوم - على ما مر بنا في هذه المحاولة هنا.

ولا يمكن فهم هذا التراث العلمي الأندلسي، وفهم مستويات خدمته، والعكوف على الاشتغال به من دون فحص للأعمال المرجعية المساعدة التي أظهرت التيسير والانتفاع به، وفي الصدارة منها: معاجم المصطلحات للعلوم المختلفة في المغرب والأندلس.

لقد نص كثيرون على نوع من العناية بالمصطلحات التي شاعت وتفردت بها البيئة العلمية في الأندلس.

وتحليل هذا التفرد ملحوظ في كثير من الأجهزة الاصطلاحية للعلوم في الأندلس، وهو ما نرى أمثلة عليه في معجمي ابن البيطار المالقي المذكورين هنا: الجامع، وتفسير كتاب دسيقور ريدوس، يقول ابن البيطار في مقدمة هذا الأخير (ص ١٠٩):

"وربما ذكرت في بعض الأدوية ما يليق به من الأسماء البربرية واللطينية (= اللاتينية) إذا كانت ***مستعملة في مصرنا،*** معروفة ***بين أهل عصرنا*** ".

٤/٤. الوظيفة المعجمية واللسانية

إن دراسة منجز المغرب والأندلس في ميدان المعجمات الاصطلاحية مهم جدًّا لتطوير الدرس المعجمي واللساني في الثقافة العربية المعاصرة من منظورين ظاهرين، هما:

أولًا: الأهمية البالغة لهذه المعاجم في ظل العكوف على صناعة معاجم معاصرة ذات صبغة موسوعية، تعنى بإدراج المصطلحات في الحقول المعرفية المختلفة، على ما هو حادث ومتبع في صناعة المعجم الكبير الذي ينهض به مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ثانيًا: الأهمية البالغة في ظل الاهتمام والعناية الآخذة في التنامي نحو إنجاز معجم تاريخي للغة العربية في منطقتين، هما:

أ. معجم الدوحة التاريخي، بدولة قطر.

ب. معجم اللغة العربية التاريخي الذي يرعى إنجاز اتجاه المجامع اللغوية العربية بالقاهرة.

٤/ ٥ الوظيفة التعليمية/ البيداجوجية

لقد كشف تحليل خطاب المناهج وأنظمة الترتيب عن عناية بالغة بمطالب التعليم، وتيسير تحصيل الدارسين في الأندلس للعلوم المختلفة، وهو ما ترجم في مظهرين تطبيقيين، هما:

أ. ظهور معجمات اصطلاحية رتب أصحابها المداخل فيها مع وفاق ترتيب ورودها في كتب العلم نفسها.

ب. ظهور معجمات اصطلاحية رتب أصحابها المداخل فيها على وفاق ترتيب ورودها في كتاب بعينه كان مشغلة تدريسه، أو الاعتماد عليه في المدارس العلمية المختلفة في الأندلس.

خاتمة:

حاول هذا البحث/ الفصل افتتاح الدعوة إلى ضرورة تأسس حقل مختص باللسانيات الأندلسية على غرار حقول أخرى مغلقة معلومة الحدود المعرفية بالأدب الأندلسي والتاريخ الأندلسي والفكر الأندلسي.

وقد عالج هذا البحث ما يلي:

١. الدلالة على فراغ المجال المتعلق بدراسة المعجم العربي الاصطلاحي في الأندلس.

٢. بيان حدود المعجمية الاصطلاحية في الأندلس.

٣. بيان مناهج التصنيف في المعجمية الاصطلاحية في الأندلس، وأنظمة الترتيب التي اتبعها أصحابها في بنائها.

٤. بيان المصادر التي يمكن أن تمدنا بقوائم معجمات المصطلحات في المغرب والأندلس، بصورة عامة.

٥. الدلالة على روءس الوظائف التي يمكن أن تسهم دراسة هذه المعجمات الاصطلاحية في الأندلس بتحقيقها للمجتمع العلمي العربي في المستقبل.

وقد نتج من فحص مطالب هذا البحث حزمة من النتائج كما يلي:

١. خلو المكتبة اللسانية عمومًا والمعجمية خصوصًا من دراسات من أي نوع للمعجم العربي العلمي أو الاصطلاحي بالأندلس!.

٢. تمدد قوائم معاجم المصطلحات العربية الأندلسية وتوزعها على محورين، هما:

أ. معاجم جامعة لمصطلحات العلوم المختلفة (معاجم المصطلحيات).

ب. معاجم خاصة بمصطلحات علم بعينه، وقد ظهر تحت هذا المحور نوع عناية بعلوم الشريعة؛ من فقه وأصول وحديث، وتصوف وعلوم العربية، من نحو، وعلم الحكمة، من طب وصيدلة وزراعة ... إلخ.

٣. ظهور الإخلاص الشديد لنظام ترتيب المعاجم الاصطلاحية في الأندلس على وفاق ترتيب المسائل في كتب العلم محل الاشتغال

بمصطلحاتها ومفاهيمها بشكل عام أو بشكل خاص يشتغل على المصطلحات الواردة في كتاب بعينه.

٤. ظهور تنوع في الوظائف التي تنهض بها دراسة المعجم العربي الاصطلاحي في الأندلس، وتوزعها على الوظائف المعرفية واللسانية والحضارية والتعليمية ووظائف خدمة تاريخ العلم.

إن هذا البحث/ الفصل يفتح الباب أمام منطقة بكر تمامًا تحتاج إلى الاشتغال عليها.

وتاريخ الإسلام في هذه البقعة تفرض علينا ارتياد هذا الحقل المجهول إلى يوم الناس هذا.

***

الفصل الرابع

فرع من الغصن الرطيب!

تطور دراسة المعجمية العربية في الأندلس في اللسانيات العربية المعاصرة: الحدود والأدبيات والخصائص

مدخل: تاريخ عريق ومنجز فارق:

ربما كانت العاطفة الحزينة والأسى الشفيف الذي لم يخمد أو يخفت على مرِّ القرون نحو الأندلس هما أول ما دفع اللسانيين المعاصرين إلى دراسة منجز الأندلسيين اللغوي بوجه عام والمعجمي بوجه خاص.

ولكن الحقيقة - كذلك - تذهب إلى تجاوز أثر العاطفة في العكوف على هذا المنجز بالفحص والدراسة في العصر الحديث، لتقرر أن الأندلسيين أسهموا في خدمة العلوم اللسانية العربية عمومًا والمعجمات العربية خصوصًا بدرجة كبيرة بالمنظور الكمي، وبابتكارات غير مسبوقة من المنظور النوعي أو الكيفي في الوقت نفسه.

والظاهر أن اجتماع هذه المسوغات معًا كان هو الدافع إلى التوجه المعاصر إلى دراسة المنجز الأندلسي في مجالي اللغة والمعجم، وفحص حدوده والعوامل المؤثرة في ظهوره ونشأته، وما تميز به في مواجهة المنجز المشرقي الذي سبقه من الناحية التاريخية بطبيعة الحال.

وهذه الدراسة تطمح إلى فحص تطور درس المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة، وبيان حدودها وخصائصها.

وتتوسل هذه الدراسة بعدد من المطالب؛ سعيًا لإنجاز الغاية منها، وهي كما يلي:

١/ تطور درس المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: قراءة في خطاب المنجز وحدوده، وأدبياته.

٢/ دراسة المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: الدوافع والخصائص والوظائف.

وفيما يلي بيان كل مطلب من هذه المطالب:

١/ تطور درس المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: قراءة في خطاب المنجز وحدوده وأدبياته:

١/١ بدايات غامضة

إن استكشاف حدود العناية المعاصرة بمنجز المعجمية الأندلسية ربما يعود بنا إلى حدود القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بصورة تقريبية، وهو التاريخ الذي ظهرت فيه أشكال من العناية باللغة العربية في أوربا، تمثلت في الملامح التالية:

أولًا: افتتاح أقسام لدراستها في الأكاديميات الأوربية.

ثانيًا: تحقيق عدد من النصوص العربية، ولاسيما النصوص العلمية المنتمية لحقول الطب والرياضيات والجغرافيا والفلك.

ثالثًا: ترجمة عدد من النصوص الدينية المسيحية واليهودية إلى العربية.

رابعًا: تصنيف عدد من الكتب في النحو العربي للأوربيين الدارسين للعربية.

خامسًا: تصنيف عدد من المعجمات العربية الأحادية أو غير الأحادية لأغراض الترجمة والفهم والاستيعاب.

وقد كان المعين على ذلك الانشغال بالعربية في البيئات الأوربية، كما يظهر من تراجم كثير من علماء أوربا المشتغلين بالدراسات العربية عادة ما يتمثل في معلمين من الموريسكيين الذين غادروا الأندلس، أو وقعوا في الأسر في رحلة طردهم من الأندلس بعد سقوطها وغياب الحكم العربي المسلم عنها.

لكن هذه البدايات البعيدة تبقى غامضة يمكن تلمس آثارها في الكتابات المعاصرة التي اهتمت بتاريخ حركة الاستشراق، ومنجزه في العناية بمنجز الأندلسيين اللساني والمعجمي.

وربما مكن العكوف على عدد من هذه الأدبيات إلى بناء صورة لبدايات العناية المعاصرة في الغرب بإسهام الأندلسيين في خدمة اللغة العربية ومعجميتها[١].

ومراجعة هذا التاريخ شبه الغامض لعناية أوربا باللسانيات والمعجمات العربية يكشف عن إرادة ظاهرة لخدمة أربع غايات على الأقل، هي:

أولًا: خدمة الكنيسة في مجال نقض ما يسمى في الأدبيات الأوربية بزيف القرآن ونقض أباطيله!.

ثانيًا: خدمة الكنيسة في مجال ترجمة النصوص الدينية المقدسة من الإنجيل ونصوص أعمال الرسل والمزامير وغيرها إلى العربية؛ لأغراض تبشيرية تستهدف استنقاذ العالم من طريق المسيحية.

ثالثًا: خدمة الإفادة من النصوص العربية في مجالات الطب والرياضيات والجغرافيا والفلك؛ تعيينًا في ترقية العلم بها في أوربا.

رابعًا: خدمة ترجمة النصوص العربية التي احتفظت بنصوص يونانية مفقودة في لغتها الأصلية لإعادة ترجمتها إلى اللغات الأوربية.

١/ ٢ بدايات أخرى غير غامضة

على أن تجاوز هذين القرنين والصعود قدمًا نحو القرن التاسع عشر يقودنا إلى الكشف عن علامات بارزة في مجال دراسة المنجز الأندلسي في الدوائر الاستشراقية، يمكن بيان حدودها فيما يلي:

أولًا: تحقيق عدد من المعجمات اللغوية العربية، من مثل: ما أنجزه إجناتسيو جويدي ت ١٩٣٥م من تحقيق أبنية الأسماء والأفعال، لأبي الزبيدي الأندلسي، وذلك سنة ١٨٩٠م، والأفعال لابن القوطية الأندلسي وذلك سنة ١٨٩٤م[٢].

ثانيًا: التعريف بعدد من اللسانيين والمعجميين الأندلسيين، والكشف عن منجزهم في هذا الحقل المعرفي، وتأثيره، ومصادر تكوينه.

ثالثًا: إنجاز دراسات لسانية ومعجمية حول تراث الأندلس في هذا المجال.

وهذه المرحلة مهمة من عدة جوانب؛ إذ هي واضحة المعالم، وما أنتجته من تحقيقات أو نشرات نقدية وتعريفات ودراسات يمكن التهدّي إليه، ولأنها أثرت تأثيرًا مباشرًا في حركة العناية باللسانيات والمعجمية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة من جانب آخر.

١/ ٣ العناية بالمعجمية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: حدود المنجز.

أما أبعاد العناية بالمعجمية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة، فقد تمددت حدودها تمددًا يمكن رصده فيما يلي:

أولًا: التحقيق والنشر النقدي.

ثانيًا: الدراسة المستوعبة لمنجز معجمي أندلسي بعينه.

ثالثًا: الدراسة المستوعبة للمنجز الأندلسي بعامة.

رابعًا: الرصد الببليوجرافي للمعاجم الأندلسية.

وبيان ذلك فيما يلي:

١/ ١,٣. تحقيق المعجمات اللغوية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: حدود المنجز:

بعد ظهور عدد من النشرات النقدية أو التحقيقات للنصوص المعجمية الأندلسية في الغرب وانتقال قواعد تحقيق النصوص التراثية إلى

الثقافة العربية المعاصرة بتأثير الاحتكاك المباشر بأوربا، بدأت تحقيقات العرب لعدد من نصوص المعاجم الأندلسية تعرف طريقها للنشر في البلدان العربية، وفيما يلي محاولة بناء تسلسل زمني حديث ومعاصر لما نشر من هذه النصوص محققًا أو مصححًا:

- ١٩٠٤م (١٣٢١هـ)/ المخصص، لابن سيده الأندلسي ت ٤٥٨هـ/ نشره محمد محمود التركزي الشنقيطي، وعبد الغني محمود (القاهرة).

- ١٩٥٢م/ الأفعال، لابن القوطية الأندلسي ت ٣٦٧هـ/ نشره علي فودة/ القاهرة (معتمدًا على طبعة إجناتسيو جويدي ١٩٣٥م).

- ١٩٥٨م/ المحكم والمحيط الأعظم/ لابن سيده الأندلسي، ت ٤٥٨هـ/ تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة.

- ١٩٦٣م/ لحن العوام، للزبيدي الأندلسي، ٣٧٩ه/ تحقيق د. رمضان عبد التواب، القاهرة.

- ١٩٦٦م/ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، لابن مكي الصقلي ٥٠١هـ/ تحقيق د. عبد العزيز مطر، القاهرة.

- ١٩٨١م/ المثلث، لابن السيد البطليوسي ت ٥٢١هـ/ تحقيق د. صلاح الفرطوسي/ بغداد.

- ١٩٨١م/ المدخل إلى تقويم اللسان وتعاليم البيان، لابن هشام اللخمي الإشبيلي ت ٥٧٧هـ/ تحقيق عبد العزيز مطر، القاهرة.

- ١٩٨٣م/ الأفعال، لابن القطاع ت ٥١٥هـ/ تحقيق زين العابدين الموسوي، اعتمادًا على نشرة كرنكو (مصورة عالم الكتب، بيروت، عن الطبعة العثمانية).

- ١٩٨٤م/ إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك الأندلسي ٦٧٢هـ/ تحقيق سعد حمدان الغامدي/ مكة المكرمة.

- ١٩٨٨م/ شرح الفصيح لابن هشام اللخمي الإشبيلي ت ٥٧٧هـ/ تحقيق د. مهدي عبيد حاسم، بغداد.

- ١٩٩١م/ الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة لابن مالك الأندلسي ت ٦٧٢هـ/ تحقيق د. محمد حسن عواد/ بيروت.

- ١٩٩٣م/ الأفعال/ للسرقسطي المعافري ت ٤٠٠هـ/ تحقيق د. حسين محمد شرف/ القاهرة.

- ١٩٩٥م/ تفسير غريب ما في الصحيحين/ للحميدي ت ٤٨٨هـ/ تحقيق د. زبيدة محمد سعيد، القاهرة.

- ١٩٩٦م/ مختصر العين، للزبيدي ٣٧٩هـ/ تحقيق د. نور حامد الشاذلي/ بيروت.

- ١٩٩٧م/ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، للفهري اللبلي ت ٦٩١هـ/ تحقيق عبد الملك عيطة رداد الثبيتي، القاهرة.

- ١٩٩٩م/ استدراك الغلط الواقع في كتاب العين/ للزبيدي ٣٧٩هـ/ تحقيق د. عبد العلي الودغيري، ود. صلاح الفرطوسي/ سراييفوا .

- ١٩٩٩م/ السماء والعالم، للقرطبي ق ٤هـ/ تحقيق صلاح الفرطوسي (ضمن نصوص معجمية فريدة، سرا ييفو) وقال عنه [ص ١٦]: "إنه أول معجم موضوعات يؤلف بالأندلس"!.

- ٢٠٠١م/ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته/ للقرطبي ٦٧١هـ/ تحقيق د. صالح عطية الحطماني/ طرابلس.

- ٢٠٠١م/ التعليق على الموطأ، للوقشي الأندلسي ت ٤٨٩هـ/ تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، الرياض.

- ٢٠٠١م/ تفسير غريب الموطأ للسُّلمي الأندلسي ت ٢٣٨هـ/ تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين.

- ٢٠٠١م/ الدلائل في غريب الحديث للسرقسطي ت ٣٠٢هـ/ تحقيق محمد عبد الله القناص، الرياض.

- ٢٠٠٧م/ تنبيه البصائر في أسماء أم الكبائر لابن دحية الكلبي الأندلسي ت ٦٣٣هـ/ عمان، الأردن.

إن ملاحظة هذه القائمة المختارة لما نشر محققًا من قبل محققين عرب يكشف عن مجموعة من الحقائق المهمة نرصدها فيما يلي:

أولًا: حاجة القول بظهور المعجم العربي في الأندلس في القرن الرابع الهجري إلى المراجعة، فقد كشفت هذه القائمة عن ظهور معجمات قبل القرن الرابع بفترات غير قصيرة.

ثانيًا: ظهور حقيقة متابعة المعجم العربي الأندلسي لتجلياته التطبيقية المشرقية على المستويات التالية:

أ. مستوى شروح نصوص مشرقية من قبل لغويين أندلسيين.

ب. مستوى متابعة تصميم المعاجم في الأندلس على المنهجيات وأنظمة الترتيب للمعاجم المشرقية.

ج. مستوى متابعة المعاجم الأندلسية للمشرقية في الأنواع والحقول.

ثالثًا: ظهور تنوع الحقول المعرفية التي تقدمت المعجمات في الأندلس لخدمتها، فقد ظهرت المعجمات الأندلسية خادمة لما يلي:

أ. غريب القرآن الكريم.

ب. غريب الحديث، مع عناية خاصة بالموطأ؛ لمنزلته في مجتمع كان غالبيته من المالكية.

ج. المعاجم اللغوية العامة، وفق مدرسة الموضوعات، ووفق مدرسة الترتيب الصوتي الذي ابتكرها الخليل بن أحمد.

د. معاجم المترادف.

هـ. معاجم المثلث اللغوي.

و. معاجم التصويب اللغوي.

ز. الانفراد بتأسيس معاجم الأفعال الجامعة المستوعبة في إضافة جديدة للمنجز المعجمي، تقدمت فيه المعجمية الأندلسية خطوة على المعجمية المشرقية.

على أن المثير للانتباه هو نهوض اللسانيين المشارقة المعاصرين بمجمل خدمة التراث المعجمي الأندلسي تحقيقًا ونشرًا؛ فقد احتلت مصر مرتبة متقدمة جدًّا في خدمة النصوص المعجمية الأندلسية وجاءت بعدها العراق، ثم السعودية بدرجات متفاوتة عنها جدًّا.

١/ ٢,٣ الدراسة المستوعبة لمنجز معجمي أندلسي بعينه: قراءة في الأدبيات:

مثل العكوف على فحص منجز اللغويين الأندلسيين، ودراسته اتجاهًا بارزًا في الدرس اللساني العربي المعاصر، وقد كان ذلك العكوف ناتج الاعتراف بقيمة ما أنجزه نفر غير قليل من علماء اللغة في هذا الإقليم العزيز الذي أمد الحضارة العربية الإسلامية في مجال الدرس اللغوي بالكثير من الإسهامات.

وقد جاءت الدوافع في تأسيس هذا الاتجاه في الدرس العربي المعاصر من شعور بفراغ المكتبة اللغوية العربية المعاصرة من الكتابات تملأ هذا الباب المعرفي من جانب، وتصحح الأوهام الفاشية فيه من جانب آخر، يقول د. عبد العلي الودغيري في كتابه: أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية في الأندلس(٣): "ليس هناك من اهتم اهتمامًا خاصًّا بدراسة هذا الجانب بطريقة علمية دقيقة ومفصلة، على كثرة ما هنالك من إشارات عابرة ومقتضبة ... لا تقيم حجة ولا دليلًا على هذا التأثير، ولا تحدد صوره وأشكاله، أو تبحث دوافعه وأسبابه، ثم نتائجه ودوره في الثقافة الأندلسية. هذا مع ما شابها من أوهام وعابها من أخطاء وأغاليط"!.

وفي هذا الجانب نرى الوقوف أمام نمطين من الدراسات تعكس طبيعة تطور الدرس اللغوي والمعجمي خاصة في الأندلس، هما:

أولًا: نمط دراسة لمنجز معجمي بعينه انتقل من المشرق إلى الأندلس وأثر فيه.

ثانيًا: نمط دراسة منجز لمعجمي نشأ نشأة أندلسية خالصة، وفي هذا السياق تبرز الأدبيتان التاليتان:

أ. ١٩٨٣م (أنجزت ١٩٧٥م) دراسة الدكتور عبد العلي الودغيري، بعنوان: أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، الرباط، المغرب.

ب. ١٩٨٤م/ دراسة الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي، بعنوان ابن سيده وآثاره وجهوده في اللغة، العراق، بغداد.

(أ)

رصد الدكتور عبد العلي الودغيري أثر أعمال القالي ت ٣٥٦هـ المعجمية في الأندلس من عدة منظورات توزعت على ما يلي:

أولًا: منظور الرواية، فقد أثبت خضوع كتابه في المقصور والممدود بما يحمله من "طابع معجمي" للرواية من طرق متنوعة في البيئة الأندلسية (ص ٢٠٤).

ثانيًا: النقل عنه في أعمال معجمية أندلسية لأندلسيين خلص من أمثال أبي بكر الزبيدي ت ٣٧٩هـ وابن السيد البطليوسي ت ٥٢١هـ وأبي عبيد البكري ٤٨٧هـ (انظر: ص ٢٠٥ - ٢٠٦).

ثالثًا: الدفع في اتجاه ظهور معجمات في المقصور والممدود في الأندلس بعده لابن القوطية ت ٣٦٧هـ، وابن هشام اللخمي ٥٧٠هـ، وابن مالك ٦٧٢هـ.

فهذه ثلاثة تأثيرات مباشرة لمعجم القالي في المقصور والممدود.

أما معجمه اللغوي العام البارع الذي يرى الودغيري أنه ألفه (ص ٢٨٦): لسد فراغ في المكتبة المعجمية الأندلسية، فقد كشف عن العلاقات التالية:

أولًا: احتذاء منهج العين في منهجية بناء البارع وترتيبه صوتيًّا وتقاليبيًّا وأبنية، ليستقر ظهور أثر المعجمية المشرقية في معجمات الأندلس ولو في البدايات.

ثانيًا: ظهور بعض خصائص مائزة تتجاوز بها منجز المشارقة في هذا المنهج منها:

أ. الاستيعاب والاستقصاء.

ب. الزيادات على العين.

وقد أثر البارع في تاريخ المعجمية الأندلسية على المحاور التالية:

أولًا: محور الرواية.

ثانيًا: محور تأسيس حركة استدراكية ونقدية حوله (انظر: ص ٣٠٥ وما بعدها).

ثالثًا: الاقتباسات منه.

وثمة تأثير آخر لا يقل عما سبق، رصده الدكتور الودغيري يمكن بيانه في مظهرين، هما:

أولًا: مظهر من تتلمذوا عليه وصنفوا معجمات لغوية بتأثير من هذه التلمذة.

ثانيًا: مظهر ما أدخله إلى المجال العلمي الأندلسي من معجمات مشرقية قرأها على تلاميذه من مثل:

أ. كتاب فعلت وأفعلت للزجاج، وهو ذو طابع معجمي في أبنية الأفعال.

ب. الغريب المصنف، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، بما هو أول معجم موضوعات في المشرق.

ج. كتب ابن السكيت ذات الطابع المعجمي، كإصلاح المنطق، والقلب والإبدال، والفرق، وخلق الإنسان والنبات، والأضداد.

د. كتب الأصعمي ذات الطابع المعجمي، كالإبل والمصادر، والشاء، وخلق الفرس، وخلق الإنسان، وغيرها.

ز. كتب ثابت بن أبي ثابت كخلق الإنسان، والفرق.

إن تحليل هذه الأدبية يكشف عن السهمة المشرقية المباشرة في تأسيس المنجز المعجمي الأندلسي على مستويات ثلاثة، هي:

أولًا: التصنيف المعجمي على أرض الأندلس.

ثانيًا: تعليم جيل من المعجميين الأندلسيين تعليمًا مباشرًا على يدي أبي القالي.

ثالثًا: المكتبة المعجمية المشرقية التي نقلها ودرسها في بيئة الأندلس، وتأثير ذلك في تقليدها من جانب، ونشأة حركة معجمية شارحة أو مستدركة، أو ناقدة.

(ب)

أما الدراسة الثانية فهي دراسة لمعجمي أندلسي خالص هو علي بن إسماعيل بن سيده ت ٤٥٨هـ.

وقد رصد الدكتور عبد الكريم شديد النعيمي منجزه المعجمي في المحاور التالية:

أولًا: معجم المخصص بما هو معجم موضوعات، وإن كان بدرجة في نطاق أوسع من نطاق الأعمال المعجمية.

ثانيًا: معجم المحكم والمحيط الأعظم، مطبقًا نظام الترتيب الصوتي الذي ابتكره الخليل بن أحمد وصمم معجمه العين وفقه.

وقد كشفت دراسة هذين المعجمين عن استمرار التأثير المشرقي في المعجمية الأندلسية التي أنجزها أندلسيون خلص على مستوى الأنظمة

الترتيبية والمنهجية في البناء، وعلى مستوى المصادر المؤسسة لمادة هذه المعاجم، وقد جاء هذا الاستمرار من طريق الكتب التي نقلها لغويون مشارقة كالقالي، أو بتأثير تلمذة مباشرة لهم.

وقد اجتهد ابن سيده – الذي تدل الروايات الخاصة بثقافته وتكوينه عن حصيلة مدهشة من النصوص المعجمية المشرقية – في الإضافة إلى ما أنجزه من معجمات مقارنة بما قرأه من المعجمات المشرقية على محاور مختلفة، هي:

أولًا: محور الزيادة والاستقصاء والاستيعاب كما نرى في معجمه المخصص.

ثانيًا: محور التصحيح، والضبط كما قرر في مقدمة معجمه المحكم والمحيط الأعظم.

إن هذين العملين المعاصرين يكشفان عن تنبه ظاهر لمنجز نفر من المعجميين الأندلسيين بالانتقال من المشرق أو بالأصالة في النشأة الأندلسية اجتهدوا في خدمة المعجمية الأندلسية، صحيح أن هذا المنجز في أي من اتجاهيه لم يتخلص من أسر المنجز المشرقي لكنه كذلك لم يأت اجترارًا ولا استنساخًا له.

ولعل الاستناد إلى تحليل خطاب عنوان كل أدبية منهما وتحليل خطاب المقدمة منهما وتحليل خطاب دراسة المنجز المعجمي لكل منهما يؤكد اختصاصهما بهذا المطلب الذي يكشف عن وعي الدرس اللساني العربي

المعاصر بسهمة عدد من المعجميين الأندلسيين في ميدان خدمة المعجمية العربية على خلفية متمايزة، ولو بشكل نسبي عن سهمة المشارقة.

١/٣,٣ الدراسة المستوعبة للمنجز المعجمي الأندلسي عامة: قراءة في الأدبيات:

يمثل التنبه إلى تميز المنجز المعجمي الأندلسي السبب المباشر وراء ظهور عدد من الأدبيات العربية المعاصرة توقفت أمام هذا المنجز بالفحص والدراسة والتحليل.

وقد كشف استقراء هذه الأدبيات عن العناية بالمنجز المعجمي الأندلسي المستوعب في اتجاهين، هما:

أولًا: اتجاه دراسة المنجز المعجمي الأندلسي ضمن تحليل أدبيات المنجز اللساني لهذا الإقليم بصورة عامة.

ثانيًا: اتجاه دراسة المنجز المعجمي الأندلسي ضمن تحليل أدبيات اختصت به بصورة مستقلة عن المنجز اللساني.

وفيما يلي تحليل لنماذج دالة من كل اتجاه من هذين الاتجاهين:

(أ)

اتجاه دراسة المنجز المعجمي الأندلسي من خلال الأدبيات المستوعبة للمنجز اللساني عامة

لقد كشف الاستقراء عن دراستين اختصتا بفحص الدراسات اللغوية في الأندلس، عالجا ضمن فصولهما وبحوثهما الدراسة المعجمية في هذا الإقليم، وهما:

١. ١٩٦٥م/ الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، لألبير حبيب مطلق، الجامعة الأميريكية، بيروت.

٢. ١٩٨٠م/ الدراسات اللغوية في الأندلس، لرضا عبد الجليل الطيار، وزراة الثقافة والإعلام/ العراق، بغداد (وقد بدأ بفحص النشاط اللغوي في الأندلس من ق ٦ه حتى سقوط الأندلس).

وهما دراستان تقعان في اللب من مجال هذا البحث وتكشفان عن استيعاب فحص الإسهام الأندلسي في ميدان خدمة الدراسات اللغوية العربية بقرينة تحليل خطاب عنوان كل واحدة، وبقرينة تحليل خطاب مقدمة كل دراسة منهما، وبتحليل خطاب المحتويات والمضمون؛ ذلك أن الكتابين يحددان مجالًا موضوعيًّا هو الدراسات اللغوية، ويحددان مجالًا مكانيًّا هو (في الأندلس).

أما خطاب المقدمات، فقد توسع في بيان الانتماء المعرفي لكل دراسة يقول ألبير مطلق [ص د]: "تعالج هذه الرسالة تاريخ ***الحركة اللغوية*** في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، وهي فترة طويلة استطاعت الأندلس خلالها أن تشارك ***في النهضة اللغوية***، وأن يكون لها نصيب واضح في الجهود اللغوية عامة.

ويقول رضا عبد الجليل الطيار [ص ٥]: "ومنذ البداية اتخذ هذا البحث اسم الدراسات اللغوية في الأندلس عنوانًا له، وتحدد بأوائل القرن السادس الهجري ابتداء، وبمنتصف القرن السابع الهجري انتهاء؛ ذلك أنه

قد سبقته دراسة قيمة موسومة بالحركة اللغوية في الأندلس من تأليف ألبير حبيب مطلق، تناول فيها النشاط اللغوي هناك منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف. وقد جاء هذا البحث ليصل ما انتهت إليه تلك الدراسة".

فالمقدمتان – كما نرى – تكشف عن الانتماءات المعرفية الموضوعية، والانتماءات المكانية للدرس اللغوي في بيئة الأندلس.

(١)

الحركة اللغوية في الأندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

رصدت هذه الدراسة ما أسهم به لغويو الأندلس من معجمات لغوية، وقررت (ص ٤٣) أن أكبر ما يميز التأليف اللغوي في هذه الفترة (من الفتح حتى أواخر القرن الثالث الهجري) عدم انفصاله عن النصوص الدينية، ولاسيما الحديث النبوي، وقررت أن هذا التأليف جاء أثرًا مباشرًا ***لهجرة المعاجم المشرقية*** إلى الأندلس.

وتوقفت الدراسة أمام إسهام الأندلسيين في التصنيف المعجمي، فحللت الإسهام المعجمي لكل من:

أ. أبي بكر الزبيدي (ص ١٠٤).

ب. أبي علي القالي (ص ١٥٨).

ج. ابن سيده (ص/ ٢٦٧ وما بعدها).

وكان تخصيص فصل ومباحث مستقلة لتحليل منجز هؤلاء ناتج شعور قوي مدعوم بالأدلة بتمايز ما صنفوه من معجمات لغوية على مستوى كثافة المادة واستيعابها واستقصائها من جانب، وعلى مستوى العناصر المنهجية الجديدة التي أضافوها لبنية هذه المعاجم على مستوى طرق الشرح، والشواهد، والمعلومات الموسوعية، وتصحيح ما فرط من المعجمات المشرقية التي هاجرت إلى البيئة الأندلسية.

وفحص هذه الأدبية يكشف عن تمدد العناية بمعجمات التصويب اللغوي، المعروفة بمصنفات لحن العامة، وهي عناية ربما يفسرها نزوع حقيقي لمواجهة تراجع الفصحى، وإرادة صيانة اللسان العربي إدراكًا من معجميي الأندلس للعلاقة العضوية بين الدين واللسان من جانب، وإدراكًا للعلاقة بين الهوية (العربية) واللسان من جانب آخر، وهو أمر ربما يكون ناتج شعور بتمدد مفهوم الجزيرة التي كان يحيطها عالم مختلف اللسان عن العربية، أو ربما كان ناتج شعور بنوع من العزلة الجغرافية النسبية عن ديار العربية الأساسية!.

(٢)

الدراسات اللغوية في الأندلس

(من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع)

ترى هذه الدراسة في نفسها امتدادًا من بعض النواحي للدراسة السابقة، وهو ما قرره صاحبها فيها نقلناه عنه قبل قليل.

وقد لاحظت الدراسة تراجع التصنيف المعجمي في حقبة القرنين السادس والسابع الهجريين، ولاحظت كذلك استمرار نوع من النشاط المعجمي، تتمثل فيما يلي:

أولًا: ظهور مصنفات في النقد المعجمي استهدفت تصحيح بعض أغلاط المعجمات السابقة، مثل: عمل ابن برجان اللغوي ت ٦٢٧هـ في كتابه عن بيان أغلاط المحكم لابن سيده [ص ٥٤]، وتنبيهات ابن القطاع الصقلي ت ٥١٥هـ على الصحاح للجوهري [انظر ٥٤ - ٥٦].

ثانيًا: ظهور بعض المصنفات اللغوية ذات الطابع المعجمي؛ ككتاب المسلسل في غريب اللغة للتميمي السرقسطي، وفي المثلث اللغوي [ص٧٧]، وفي خلق الإنسان [ص ٧٩]، وفي غريبي القرآن والحديث [ص ٨٠]، وفي التصويب اللغوي أو لحن العامة [ص ٨٤].

ثالثًا: استمرار ظاهرة الشروح لبعض المصنفات اللغوية المشرقية المهاجرة ذات الطابع المعجمي.

ويبدو ظاهرًا من الحركة المعجمية في هذه الحقبة المتراجعة حضاريًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا في بيئة الأندلس - وهي مرحلة الأفول في الوجود العربي والإسلامي - تركيزها على المحددات المحافظة التي تركزت في الملامح التالية:

أ. مراجعة معجمات الأجيال السابقة وتصحيحها وتنقيحها؛ مما أسهم في حركة الاستدراك والنقد المعجمي.

ب. العكوف على أعمال المشارقة المعجمية شرحًا وتدريسًا، ربما كنوع من حماية الذات والدفاع عنها في وسط موار بالفتن عاصف بالوجود المادي من أساسه.

(ب)

اتجاه دراسة المنجز المعجمي الأندلسي المستوعب
الخالص لدراسة المعجمية في الأندلس: قراءة في الأدبيات

أما الاتجاه الآخر الذي استوعب فحص المنجز المعجمي الأندلسي، فقد خلص لدراسة ما الإسهام المعجمي الأندلسي في صورة مستوعبة مستقلة غير مختلطة بغيره من أوجه نشاط الدرس اللغوي.

وتظهر في هذا السياق ثلاث دراسات معاصرة، هي:

أ- ١٩٨٤م/ المعجم العربي بالأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري/ الرباط، المملكة المغربية.

ب- ١٩٩٢م/ النشاط المعجمي في الأندلس، للدكتور يوسف عيد/ بيروت.

ج- ١٩٩٣م/ المعجم الجغرافي في التراث العربي، للدكتور مصطفى إبراهيم علي/ المنصورة، مصر.

وفيما يلي تحليل لعناصر كل دراسة؛ قراءة وفهمًا:

(أ)

المعجم العربي بالأندلس

للدكتور عبد العلي الودغيري

يبدو من تحليل خطاب عنوان هذه الأدبية خلوصها لفحص المنجز المعجمي الأندلسي، واستقلالها بدراسة غير مختلطة بغيره من أوجه الدرس اللغوي في الأندلس.

وقد كشف فحص هذه الأدبية عن تنوع المنجز المعجمي العربي في الأندلس وسبره في اتجاهات كثيرة، هي:

أولًا: في اتجاه مدرسة العين؛ حيث ظهر معجم البارع للقالي، وظهرت حركة نقدية واستدراكية حوله، وحركة استدراكية نقدية حول العين، وحولهما معًا، كما ظهرت معاجم أخرى احتذت منهج العين كالمحكم لابن سيده وتلخيصه للرعيني، ت ٦٢٠هـ، وتلخيصه أيضًا للعنيسي ق ٧هـ، والرد عليه لابن برجان ت ٦٢٧هـ، وظهر معجم المبرز في اللغة للحجاري ت ٤٦٢هـ.

ثانيًا: في اتجاه مدرسة الألفباء؛ حيث ظهر معجم الموعَب لابن التياني ت ٤٣٦هـ، وظهرت حركة استدراكية نقدية حول الصحاح، مثل: الشاطبي ٦٤٨هـ وغيره.

ثالثًا: في اتجاه مدرسة معاجم المعاني؛ حيث ظهر معجم السماء والعالم، لأبان بن سيد اللخمي القرطبي ت ٣٥٤هـ، والمخصص لابن سيده.

رابعًا: في اتجاه مدرسة المعجم الخاص، حيث ظهر معجمات المسلسل من الغريب للسرقسطي ٥٣٨هـ.

خامسًا: في اتجاه المعجم المتخصص، كمعاجم الأبنية، ومعاجم الأفعال، لابن القوطية ٣٦٧هـ، وابن طريف ت ٤٠٠هـ، وابن القطاع ٥٩٥هـ، والسرقسطي، وظهرت معاجم في غريبي القرآن والحديث، ومعاجم جامعة لمصطلحات الطب والصيدبة [ص ١١٥ – ١١٨].

لقد كانت الغاية من هذا البحث هي إبراز جانب من النشاط اللغوي الذي عرفته الأندلس، وهو المتمثل في التأليف المعجمي للغة العربية.

وتكشف هذه الدراسة عما يمكن أن نسميه الوحدة العلمية والمعرفية التي كانت تربط أجزاء الجغرافيا المسلمة، وهي الوحدة التي تجلت في المسارات التالية:

أولًا: التأثير المباشر للحركة المعجمية المشرقية في تأسيس الحركة المعجمية الأندلسية.

ثانيًا: نشوء حركة استدراكية ونقدية للمنجز المشرقي المعجمي من جانب الحركة المعجمية الأندلسية.

ثالثًا: تطوير الحركة المعجمية الأندلسية لجوانب كانت معتمة في الحركة المعجمية المشرقية، على ما يظهر من تطوير معجمات الأبنية.

(ب)

النشاط المعجمي في الأندلس

للدكتور يوسف عيد

افتتح هذا الكتاب أمره ببيان التأثير المشرقي المهاجر في تأسيس الحركة المعجمية العربية في الأندلس، ثم صنع قائمة ببليوجرافية وفق الأعلام لمجمل المنجز المعجمي العربي (ص٤٠ وما بعدها).

وخصص فصلًا بعنوان (المعاجم الأندلسية) قرر في بدايته [ص ١٠٧] "كانت ولادة القاموس العربي على يد البغدادي [أبي علي القالي] الذي توفي قبل أن يضع لمساته الأخيرة على كتابه الموسوعي: البارع في اللغة.

ثم ألف الزبيدي مختصره الشهير [مختصر العين]، وتوالت الأعمال، وذهب المعجم الأندلسي مذاهب شتى، ودخل في غير مدرسة واتجاه.

وقد اتبع في تصنيفها ودرسها تصنيفًا بحسب المناهج التي اتبعت في تأليفها وليس بحسب تاريخ كتابتها، وهو المنهج نفسه الذي اتبعه – كما ظهر من عرضنا - الدكتور عبد العلي الودغيري في الأدبية المستوعبة المستقلة السابقة.

والحقيقة أن ثمة ما يبعث على الريبة في هذه الدراسة، وهو عدم معرفتها بكتاب الودغيري مع أنه يسبقه بعقد كامل تقريبًا، ومع أنه أعلن أنه طبق منهجية مراعاة التصنيف لا التاريخ.

وقد جاءت معالجته كما يلي:

أولًا: مدرسة العين.

ثانيًا: اتجاه المعجم التام (الذي تناول الأبنية جميعًا بالمعالجة).

ثالثًا: اتجاه المعجم غير التام (الذي تناول أبنية الأفعال فقط بالمعالجة).

(ج)

المعجم الجغرافي في الأندلس

للدكتور مصطفى إبراهيم علي

صنع الدكتور مصطفى إبراهيم علي فصلين كاملين عن المعجم الجغرافي في الأندلس (ص ١٩ – ٩٤)، ضمن كتابه (المعجم الجغرافي في التراث العربي)، وقد عالج فيهما:

معجم ما استعجم للبكري (ت ٤٨٧هـ) والروض المعطار للحميري (ت ٩٠٠هـ)، وكان دافعه إلى ذلك شعور حقيقي بقلة دراسات المعجم الأندلسي المختص في العصر الحديث.

وقد كان هذان الفصلان في أصلهما بحثين منفردين، هما:

- المصطلحات عند البكري ... دراسة دلالية في معجم ما استعجم [مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة ١٩٨٧م].

- المعجم الجغرافي في الأندلس [ضمن أعمال ندوة الأندلس ... قرون من التقلبات والعطاءات، الرياض ١٩٩٣م].

ومن مجموع هذه الأدبيات يتبين ظهور العناية المعاصرة بالمعجمية العربية في الأندلس في سياق تاريخي تستهدف الكشف عن التأثيرات في نشأتها، ويستهدف الكشف عن منجزها ومناهجه وإضافاته.

٤,٣/١ الرصد البيليوجرافي لمنجز الأندلسي المعجمي: تعيين المصادر:

يمثل هذا الاتجاه رابع أشكال العناية بالمعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة.

والحقيقة أن الوعي البيليوجرافي بالمعجمية الأندلسية لم يظهر مستقلًّا إلى الآن، وهو ما يفتح أفقًا للحصر البيليوجرافي للمعجمات العربية في الأندلس في المستقبل.

ولكن من الممكن أن نقرر أنه بالإمكان اعتماد عدد من المصادر والبيليوجرافيا لاستكشاف الصورة الأولية لهذا المنجز المعجمي الأندلسي من خلال المصادر التالية:

أولًا: معجم المعاجم، لأحمد الشرقاوي إقبال.

ثانيًا: المعجمات العربية: ببليوجرافية شاملة مشروحة لوجدي رزق غالي.

ثالثًا: معاجم أعلام النحاة واللغويين الأندلسيين، للدكتور رجب عبد الجواد والدكتور يوسف عيد والدكتور يوسف فرحات [وهي كانت مشغلة دراسة تحليلية نشرتها مجلة الأندلس في عددها الرابع ٢٠١٧م بعنوان: قمر على الحمراء للدكتور خالد فهمي].

رابعًا: الأدبيات المعاصرة لدراسة النشاط اللغوي والمعجمي في الأندلس، مما كان مشغلة المطلب السابق مباشرة هنا.

إن فحص هذه الحدود تكشف عن ملامح ظاهرة تقرر أن ثمة تطورًا لحق بدراسات النشاط المعجمي الأندلسي في الثقافة العربية المعاصرة، وهذه الملامح تكمن فيما يلي:

أولًا: افتتاح العناية العربية المعاصرة بنشر الأعمال المعجمية الأندلسية نشرًا علميًّا محققًا.

ثانيًا: ظهور العناية العربية المعاصرة بدراسة النشاط المعجمي العربي في الأندلس في البداية مختلطًا بدراسة مجمل النشاط اللغوي أو اللساني في الأندلس.

ثالثًا: تطور العناية العربية المعاصرة بدراسة النشاط المعجمي العربي في الأندلس باستقلال دراسة منجز لمعجميين بأعيانهم كالقالي وابن سيده.

رابعًا: تطور العناية في حلقة أخرى إلى دراسة النشاط المعجمي الأندلسي بصورة عامة مستوعبة مصنفة.

ويبقى - في الحقيقة - مناطق تحتاج إلى استكمال الدراسة تتعلق بالرصد الببليوجرافي لمعجمات الأندلسيين، ودراسة إسهامهم في المعجمية المختصة على وجه الخصوص، ودراسة إسهامهم في الاستدراك والنقد المعجمي ووسائله بصورة خاصة.

٢/ دراسة المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: الدوافع والخصائص والوظائف:

كشفت مراجعة حدود العناية بدراسة المعجمية العربية الأندلسية في العصر الحديث عن تمدد ظاهر في خريطة فحصها وتحليلها طالت تحقيق نصوصها، ونشرها نشرًا نقديًّا، ودراسة منجز أعلامها وتحليله، ودراسة اتجاهات التأليف فيها، وأنظمته، وإضافاته المتنوعة.

وفي هذا المطلب من هذه الدراسة محاولة للتوصل إلى الدوافع التي كمنت وراء فحص هذه الحدود المعاصرة، واستكشاف خصائصها، وتجلية وظائفها.

١/٢
دراسة المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: قراءة في خطاب الدوافع

إن تحليل أنواع الدراسات اللسانية المعجمية لمنجز الأندلسيين في هذا المجال يكشف عن حزمة من الدوافع المتراكمة خلف العاطفة الدينية التي خلفتها رابطة الدين والأمة معًا، وخلف المسئولية العلمية والحضارية التي ترى أن كل ترقية للواقع لا يؤتي أكله من دون فحص لمنجز الآباء المؤسسين، وكل فحص لسهمة عقله في الوجود الحضاري، وهو ما لا سبيل إليه من دون قراءة فيلولوجية تشمل منجزه المعجمي بطبيعة الحال.

وفيما يلي رصد لمجمل الدوافع التي حملت اللسانيين العرب المعاصرين على فحص التراث المعجمي العربي في الأندلس.

أولًا: الدافع الديني/ العاطفي:

مثل التذكير بالآلام على ضياع الأندلس نوعًا من الدافع المسكوت عنه أو المستتر خلف الحركات العلمية المعاصرة في المجال العربي التي استهدف دراسة الجوانب المتنوعة المتعلقة بالأندلس، ومن بينها ما يتعلق بمنجز علمائه في اللسانيات عمومًا، وفي المعجمية العربية خصوصًا.

وهذا الدافع يمثل نوعًا من "ميكانيزمات الدفاع" يخفف من الضغوط المتوراثة التي خلفها سقوط هذه البقعة العزيزة من أرض الإسلام، كما يمثل هذا الدافع كذلك نوعًا من شحن الطاقة الكامنة نحو عدم تكرار هذه المأساة من جديد.

ثانيًا: الدافع المعرفي والحضاري.

ظهرت الدراسات العربية المعاصرة لمنجز الأندلس المعجمي؛ بقصد خدمة مجموعة من الغايات المعرفية اللسانية، والتاريخية، والحضارية بصورة أساسية.

لقد استطاع اللسانيون العرب المعاصرون بشعور علمي يدرك خصوصية الجهد الذي بذل في سبيل دراسة العربية، وتقعيد قواعدها، واستنباط أسرار نظامها، التوصل إلى العناية باللسانيات التراثية من جوانب كثيرة، واحتل منجز المشارقة في تفسير النظام اللغوي العربي مجمل النشاط الأكاديمي المعاصر؛ الأمر الذي بات معه ضرورة استكمال فحص بقية منجز التراثيين في اللسانيات؛ فكان التوجه نحو الأندلس.

وهو ما أكد أن نشأة الدرس اللغوي للعربية في الأندلس نشأ نشأة ذاتية، استهدفت خدمة الوحي ونصوصه المركزية العليا في الكتاب العزيز والسنة.

هذا جانب معرفي.

من جانب آخر، كان الدافع التاريخي والحضاري ظاهرًا وراء دراسات اللسانيين العرب المعاصرين للمنجز المعجمي العربي في الأندلس؛ ذلك أن الكشف عن علاقات التأثير المشرقية في الأندلس، وما قدمه علماء اللغة المشارقة لإخوانهم في الأندلس كان مهمًّا من الناحية اللسانية لتفسير مجموعة من الملامح، لم يكن من المستطاع تفسيرها من دون فحص هذه العلاقات التاريخية والحضارية، فقد ظهرت العلاقات التالية في منجز الأندلس المعجمي:

١. امتداد احتذاء منهج العين في تصنيف جمهرة من المعجمات التأسيسية في الأندلس كالمحكم وغيره.

٢. نشوء حركة استدراك ونقد معجميين حول نصوص معجمية عربية مشرقية تأسيسية كالعين والصحاح.

٣. نشوء حركة جمع وتلخيص لنصوص معجمية عربية مشرقية.

وهذه العلاقات لم يكن في المقدور تفسيرها من دون الفراغ من فحص شكل العلاقة التاريخية الحضارية بين المعجم العربي المشرقي والمعجم العربي الأندلسي، هذا جانب ثان.

من جانب ثالث وأخير، فإن الإلحاح من المعجمية العربية الأندلسية على ربط مقدراتها بمقدرات المعجمية العربية المشرقية؛ احتذاء لمناهجها واستدراكًا لنواقصها، ونقدًا لما فرط من أصحابها في الترتيب والشروح، وتداخل الأصول - يكشف عن إرادة الارتباط بالمشرق؛ بوصفه وطنًا أمًّا، عاصمًا للأندلس من ضغوط المحيط الأعجمي المطيف على الدوران في فلك المعجمية العربية المشرقية، وهذا جانب أخير.

إن الكشف عن هذه الثلاثة دوافع كان مسألة علمية لازمة لتفسير حركة التصنيف في المعجمية الأندلسية إن على المستوى التقليدي المتابع للحركة المعجمية المشرقية، وإن على المستوى التجديدي الإضافي الذي ملأ فراغات ما لم تنجزه الحركة المعجمية العربية المشرقية.

ثالثًا: الدافع القومي/ خطاب الهوية المحلية:

ربما كان الدافع القومي المعاصر سببًا مسكوتًا عنه وراء دراسات العرب المعاصرين في هذا المجال؛ للتدليل على ما كان من إنجازات في زمان التمدد العربي الإسلامي حضاريًّا من جانب، ولإثبات ما أسهم به المغرب والأندلس من خدمة اللسان العربي من جانب آخر.

وربما كان ذلك الدافع منطقيًّا وطبيعيًّا في سياق السعي نحو وحدة العرب والمسلمين من جهات معرفية.

رابعًا: الدافع البيداجوجي والبحث:

وأقصد به السعي نحو استكمال بنية تعليم اللسانيات العربية التراثية، وتاريخها وإنجازاتها لتشمل بيان ما أنجزه الأندلسيون بعدما استفاضت خدمة بيان ما أنجزه المشارقة في الرتاث المعجمي العربي.

٢/٢

دراسة العمجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية لمعاصرة: قراءة في خطاب الخصائص

إن تحليل الدرس المعاصر للمعجم العربي في الأندلس يكشف عن حزمة من السمات والخصائص المائزة التي صبغت أدبيات هذا الدرس اللساني، وهو ما يمكن تبيانها فيما يلي:

أولًا: الاستيعاب المحوري/ الشمول:

ونقصد به أن الدرس المعاصر للمعجم العربي في الأندلس تمدد ليستوعب مجموعة من المحاور الكبرى غطت – بنسبة كبيرة – خريطة المنجز التراثي للمعجمية الأندلسية، وهذا الاستيعاب تمدد ليشمل المحاور التالية:

١. تحقيق المعجمات العربية الأندلسية، ونشرها نشرًا نقديًّا.

وقد توزعت هذه التحقيقات على قطاعات العمل المعجمي الأندلسي التالية:

أ. المعجمات اللغوية العامة اللفظية والموضوعية.

ب. المعجمات اللغوية الخاصة بأبنية الأسماء والأفعال.

ج. المعجات اللغوية الخاصة بغريب الحديث النبوي الشريف.

د. المعجمات المختصة بالطب والصيدلة والعقاقير والنباتات.

هـ. المعجمات المختصة بالبلدانيات والجغرافيا.

و. تحقيق المعجمات الاستدراكية والناقدة لمعجمات المشارقة.

٢. دراسة منجز معجميين بأعيانهم، كمنجز القالي في المعجم العربي، ومنجز ابن سيده، ومنجز ابن مالك، ومنجز أبي حيان الأندلسي، غيرهم.

٣. دراسة المنجز المعجمي الأندلسي بشكل عام؛ حرصًا على الاستقراء، والإحصاء ظهر في شكلين، هما:

أ. شكل مختلط بدراسة المنجز الأندلسي في اللسانيات عمومًا.

ب. شكل مستقل اختص بدراسة المنجز الأنلسي في المعجم العربي وحده.

٤. إنجاز ببليوجرافيات معاصرة للمعجمات العربية في الأندلس، صحيح أنها لم تظهر مستقلة لكنها جاءت مختلطة بببليوجرافيات شاملة للمعجمات العربية.

٥. إنجاز معاجم معاصرة لأعلام النحاة واللغويين والمعجميين الأندلسيين.

ثانيًا: التنوع المنهجي:

من أبرز ما كشفت عنه مراجعة الأدبيات المعاصرة التي درست المنجز الأندلسي في مجال المعجمية العربية: سمة التنوع المنهجي، وهو التنوع الذي تمثلت علاماته فيما يلي:

١. الدرس التاريخي الذي تعقب فحص المنجز المعجمي في الأندلس تبعًا لمنجز القرون، وهو ما ظهر في دراسة ألبير حبيب مطلق الذي توقف

بدراسة عند نهاية القرن الخامس الهجري، ثم دراسة رضا عبد الجليل الطيار الذي استكمل المسيرة التاريخية ليغطي بدراسته القرن السادس والسابع الهجريين.

٢. الدرس الموضوعي الذي غطى الاتجاهات والمقاربات (والتوجهات التالية):

أ. درس منجز معجمي بعينه (كدراسة منجز القالي وابن سيده وأبي حيان وابن مالك).

ب. درس المنجز المعجمي الأندلسي بوجه عام في سياق دراسة اللسانيات الأندلسية التراثية (كدراسة ألبير حبيب ورضا عبد الجليل).

ج. درس المنجز المعجمي الأندلسي بوجه خاص مستقلًّا عن غيره من فروع الدرس اللساني (كدراسة عبد العلي الودغيري ويوسف عيد).

د. الدرس التصنيفي لمنجز الأندلس المعجمي تبعًا للمدارس والاتجاهات التصنيفية.

٣. النشر النقدي/ تحقيق النصوص، وقد قدمنا في بداية هذه الدراسة عينة كاشفة عن خدمة تحقيق النصوص المعجمية العربية الأندلسية في حقولها المتنوعة.

٤. الرصد الببليوجرافي الذي اتخذ شكلين ظاهرين، هما:

أ. صناعة معاجم لأعلام نحاة الأندلس ولغوييه ومعجمييه.

ب. صناعة ببلوجرافيات معجمية عربية شاملة، تضمنت رصد لمنجز الأندلسيين في صناعة المعاجم العربية العامة والمختصة.

وما تزال هناك مجالات فرعية قادرة على أن تجذب فريقًا من الدارسين المعاصرين لخدمتها، وفحصها من مثل:

أولًا: الحركة النقدية المعجمية في الأندلس: حدودها وتطبيقاتها ودوافعها وخصائصها.

ثانيًا: الحركة الاستدراكية المعجمية في الأندلس: حدودها ودوافعها وتقويمها.

ثالثًا: استكمال نشر النصوص المعجمية الأندلسية.

رابعًا: المعجمية المختصة في الأندلس: حدودها وتطبيقاتها.

خامسًا: الصراع اللغوي في الأندلس بين العربية واللغات الأعجمية: تاريخه وطبيعته وآثاره.

ثالثًا: التنوع الوظيفي:

أنتج تحليل الأدبيات اللسانية العربية المعاصرة التي عكفت على دراسة المنجز الأندلسي المعجمي مجموعة من الأدوار والوظائف، خدمتها المعجمات العربية التي صنفها الأندلسيون، وهي حزمة من الأدوار تكشف عن تنوع وظيفي حقيقي يدور حول ما يلي:

١. خدمة وظيفة استكمال النقص الواقع في جغرافية المعجمية العربية في المشرق بما كان من إضافة الأندلس لمدارس معاجم أبنية الأفعال بوجه خاص.

٢. خدمة وظيفة تكملة النقص الواقع في الأعمال المعجمية المشرقية الرائدة، كالعين والصحاح.

٣. خدمة وظيفة تصحيح الأوهام التي وقعت في المعاجم المشرقية الرائدة، كالعين والصحاح.

٤. خدمة وظائف ابتكار وظائف معجمية جديدة؛ كالسبق في إضافة البعد الموسوعي، المتمثل في العناية بتراجم الأعلام في نهايات المواد اللغوية في بعض المعاجم اللغوية الأندلسية، كالمحكم لابن سيده.

رابعًا: التحليل والتماسك:

اتسمت الأدبيات العربية المعاصرة التي درست المنجز الأندلسي المعجمي بمنهجية تحليلية لم تكتف بالتصنيف وفقًا لمعياري التاريخ والمنهجية التصنيفية، ولكنها طبقت منهجية تحليلية رصدت الأدلة، والشواهد، وقرائن التأثيرات، وسلاسل الروايات؛ فجاءت نتائج الدراسات متماسكة من المنظور المنهجي.

٢/٣ دراسة المعجمية العربية الأندلسية في الثقافة العربية المعاصرة: قراءة في خطاب الوظائف

إن تحليل الأدبيات العربية المعاصرة التي عكفت على دراسة المنجز المعجمي للأندلسيين يمكنه أن يقود إلى تحرير جملة من الوظائف يمكن استثمارها، هي كما يلي:

أولًا: الوظيفة المعرفية:

ونقصد بها ضم نتائج هذه الدراسات لتوصيف عام كلي لخريطة المنجز المعجمي التراثي العربي كاملًا، وفحص شبكات التأثير والتأثر بين المشارقة والأندلسيين، وإعادة بناء الحلقات المفقودة في تاريخ المعجمية العربية التراثية لتكون هادية للتخطيط لتطور المعجمية العربية المعاصرة.

ثانيًا: الوظيفة التاريخية:

إن هذه الأدبيات يمكنها أن تسهم في إعادة ترميم التسلسل الزمني لمنجز المعجمية العربية في الأندلس، بعد الكشوف والتصويبات التي نهض عدد من اللسانيين العرب المعاصرين في الكشف عن تأثير المعجم المشرقي في المعجم الأندلسي من جانب، وبعد تصحيح نسبة عدد من المعجمات إلى أصحابها من الأندلسيين من جانب آخر.

ثالثًا: الوظيفة الحضارية:

ونقصد بها إعادة تحليل ما ابتكرته المعجمية العربية الأندلسية، وسدت به مناطق الفراغ في خريطة المعجمية المشرقية من جانب، وما استكملت به النقص وسددت به مناطق الخلل، وقومت به أوهام المعجمية المشرقية من جانب آخر.

وهذه التطبيقات تكشف عن إمكان تحقيق ترابط الأمة الإسلامية من بوابة التعاون العلمي والمعرفي.

رابعًا: الوظيفة القومية:

لقد كشف التوسع الظاهر في العناية بمعاجم التصويب اللغوي (اللحن) عن وعي حقيقي، بما يلزم من مواجهة مهددات الهوية القومية .. لقد أدرك اللسانيون الأندلسيون خصوصية الموقع الأندلسي المحاصر من اللغات الأعجمية، فنهضوا بالتأليف في صيانة اللسان العربي، ورفع لحون العوام؛ طلبًا لحماية اللسان العربي.

خاتمة:

سعى هذا البحث من خلال مطلبين تفرغا لدراسة المعجمية الأندلسية في الثقافة المعاصرة، وفي محاولة للكشف عن حدودها، وخصائصها، ووظائفها.

وكشفت هذه الدراسة عما يلي من النتائج:

١. تمدد وجود العناية في الثقافة العربية المعاصرة بدراسة المعجمية العربية الأندلسية التراثية، وهو التمدد الذي شمل ما يلي:

أ. تحقيق نصوص هذه المعجمية، ونشرها نشرًا نقديًّا.

ب. دراسة منجز المعجميين الأعلام في الأندلس.

ج. دراسة منجز المعجمية الأندلسية عامة تاريخيًّا وموضوعيًّا.

٣- حاجة بعض الحقول المعرفية إلى الاستكمال، من مثل:

أ. صناعة ببليوجرافيات شاملة للمعجمية العربية الأندلسية بوجه خاص.

ب. استكمال دراسة اتجاهات وموضوعات متميزة في المنجز المعجمي الأندلسي، كحركة النقد المعجمي في الأندلس، وحركة الاستدراك المعجمي فيها.

٤- نهض اللسانيون المشارقة والمغاربة المعاصرون بدراسة المعجمية الأندلسية، وتحقيق نصوصها، وكان أبرز المشاركون في ذلك من المشارقة: صلاح الفرطوسي، وعبد الكريم النعيمي، ورضا عبد الجليل طيار، ويوسف عيد، ومن المغاربة تميز سهمة عبد العلي الودغيري تعيينًا بقيمة رفيعة.

٥- تنوعت الدوافع المعاصرة وراء العناية بدراسة المعجمية الأندلسية، دينيًّا ومعرفيًّا وقوميًّا.

٦- تنوعت خصائص المنجز اللساني المعاصر في دراسة المعجمية الأندلسية استيعابًا وشمولًا ومنهجية وتحليلًا.

٧- ظهر تنوع الوظائف التي حققتها دراسات المعاصرين للمعجمية العربية في الأندلس.

هوامش البحث:

١- من الأدبيات المعنية بمنجز الاستشراق في هذا الباب، وبها عناية بأشكال خدمة المعاصرين بمؤلفات الأندلسيين في اللغة والمعجم ما يلي:

- حكمة الشرق وعلومه، لجيرالد جيمس تومر، ترجمة أحمد الشيمي، عالم المعرفة الكويت (٤٤٨) مايو ٢٠١٧م، وجهود المستشرقين في التراث

العربي بين التحقيق والترجمة، للدكتور عوني عبد الرءوف، وتقديم د. إيمان السعيد جلال، القاهرة ٢٠٠٤ - ٢٠١٥م، وموسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، بيروت، ١٩٩٧م، وتاريخ حركة الاستشراق، ليوهان فك، ترجمة عمر لطفي العالم، دمشق ١٩٩٦م، والمستشرقون، لنجيب العقيقي، القاهرة ١٩٨٠م.

٢- انظر العمل المرجعي المهم: معجم المعاجم، لأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣م، وكذلك: المعجمات العربية: ببليوجرافية شاملة مشروحة لوجدي رزق غالي، تقديم د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

٣- أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية في الأندلس، للدكتور عبد العلي الودغيري، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٨٨م (ص٧).

***

الفصل الخامس

حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي (ت سنة ٨٢٩هـ) تحقيق الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام): مراجعة علمية نقدية

مدخل: تحية العلم الاحتفاء بمنجز أهل العلم!

يمثل الوفاء لشيوخ العلم واحدًا من أهم القيم الأخلاقية العلمية التي تثمر على مستويات مختلفة، وتنتج آثارًا إيجابية على مستوى الوجدان والعقل معًا.

ولعل الحفاية بمنجز مشايخ العلم الراحلين، ودراسته، وفحصه، وتقييمه، والاشتغال به من أظهر أنواع تحياتهم؛ إذ تحيتهم من طريق الاحتفاء بما أنجزوا من العلم تبقي أثرهم فى الوجود، وتستجلب الدعاء لهم من طريق لا تنقطع، وهي طريق العلم الذي ينتفع به، كما جاء في السنة الصحيحة المشرفة، من أن المرء إذا مات انقطع عمله إلا من علم ينتفع به.

والراحل الكريم الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام) واحد من شيوخ العلم بالعربية، امتدت حياته في المسافة بين (١٩٤٥م = ٢٠١٤م)، وتنوع منجزه العلمي، وأثره في المعرفة العربية على المحاور التالية:

أولًا: الإبداع الشعري، فقد ترك عددًا من دواوين الشعر العربي، التي جمعت في مجلدين تضمان ستة دواوين، هي:

١- الخوف من المطر ١٩٧٤م.

٢- لزوميات وقصائد أخرى ١٩٨٥م.

٣- هدير الصمت ١٩٨٧م.

٤- مقام المنسوخ ١٩٨٩م.

٥- أغاني العاشق الأندلسي ١٩٩٢م.

٦- زهرة النار ١٩٩٨م.

ثانيًا: الدراسات الأدبية والنقدية والأدب المقارن.

ثالثًا: الترجمة الإبداعية (ترجمة شعر/ ومسرح).

رابعًا: تحقيق النصوص التراثية.

وهذا المبحث يقف أما تجربته الوحيدة في تحقيق النصوص التراثية، يسعى نحو تقييمها، وأهديه إلى روحه الطاهرة؛ تحية وتقديرًا ووفاءً لصداقة امتدت نحوًا من عقدين من الزمان، وتقديرًا لمنجزه الدال على انتمائه لحضارته العربية الإسلامية.

(١) حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي، ت ١٤٢٦م

قراءة في خطاب الاختيار!:

يكشف أبو همام أسباب عنايته بتحقيق هذا النص المهم من التراث الأندلسي، ويلخصها في الأسباب التالية:

أولا: تأثره بشيخ المحققين الأستاذ محمود محمد شاكر، يقول في الحوار الذي أجرته معه الأستاذة/ تهاني صلاح في موقع الأهرام الرقمي (يوم ١٤ سبتمبر ٢٠١٠م): "اهتممت بالتحقيق لأني تلميذ قديم للأستاذ محمود محمد شاكر. وكان يحثني على الاشتغال بالتحقيق".

ثانيًا: السبب القومي:

كشف الدكتور أبو همام على ما دفعه لتحقيق كتاب حدائق الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي، متمثل في أنه يمثل آخر فتيل للثقافة الغرناطية، وكشف عن تأثيره الهائل في الأدب الإسباني وأدب أمريكا.

وهذا السبب يعكس البعد القومي الذي يكشف عن ارتباط الدكتور أبو همام بتراثه القومي، والتوجه نحو حفظ واحد من أهم النصوص التي تحتفظ بقدر كبير من ملامح الحياة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي.

ثالثًا: السبب المعرفي:

يكشف تحقيق هذا الكتاب عن واحد من أهم عناصر التكوين العلمي في أجيال شيوخ العلم في المدرسة المصرية، وهو العناية بتحقيق عدد من النصوص التراثية في مجالات اختصاصاتهم العلمية.

والدكتور أبو همام واحد من الأسماء المهمة في مجال الأدب الأندلسي تعيينًا، وتحصيل مهارات تحقيق النصوص التراثية كان جزءًا أساسيًّا من التكوين العلمي لأجيال الرواد، ومن أخذ عنهم، وهو ما نلمسه مثلًا في هذا المجال عند عدد كبير من شيوخ العلم بالأندلسيات من أمثال: عبد

العزيز الأهواني، ومحمود علي مكي، والطاهر المكي، وغيرهم من أعلام الدراسات الأندلسية الأدبية في المدرسة المصرية التي ورث بعض تقاليدها العلمية الدكتور أبو همام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إن هذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعت الدكتور أبو همام إلى ميدان تحقيق النصوص التراثية، من جانب، ودفعت إلى اختيار هذا النص تعيينًا من جانب آخر.

(٢) حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، لابن عاصم الغرناطي، المتوفى سنة٨٢٩هـ = ١٤٢٦م: مادته وانتماؤه المعرفي:

(٢/ ١) افتتح ابن عاصم الغرناطي كتابه ببيان مادته، فقال (ص ٥٠ – ٥١): "أما بعد فإني جمعت هذا الكتاب ... وسميته: حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر وجعلته في ست حدائق، وهي كما يلي:

١- الحديقة الأولى: في المجاوبة البديهية والمخاطبة المرضية (ثلاثة أبواب).

٢- الحديقة الثانية: في مداعبة يستجلب بها السرور ومضحكات تميل إليها النفوس، وتنشرح بها الصدور (خمسة أبواب).

٣- الحديقة الثالثة: في نوادر أولي العقول والألباب وحكايات المستخفين والمغفلين من المولدين والأعراب (ثلاثة أبواب).

٤- الحديقة الرابعة: في الوصايا والحكم (باب واحد).

٥- الحديقة الخامسة: في أمثال العامة وحكمها (باب واحد).

٦- الحديقة السادسة: في الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة (ثلاثة أبواب).

وفي اختيار تسمية أقسامه باسم الحدائق تنبيه لمقاصد التصنيف في هذا الباب المعرفي التي تتركز في جلب التسلية، وصناعة ثقافة البهجة والارتياح.

وهذه الغاية ظاهرة في مقدمة ابن عاصم، الذي يقول [ص ٥١]: "اعتنيت بتأليفه وجمعه، ورددت كل جنس إلى جنسه؛ ليسهل النظر فيه على مطالعه، وتحصيل الفائدة لقارئه وسامعه، فجاء - بحمد الله سبحانه - حسن الترتيب، بديع التهذيب ... ***فيه تسلية للنفوس، وترويح للأرواح، واستجلاب للمسرات والأفراح***، وراحة الخاطر، وأنس المجالس والمسافر، وتحفة القادم، وزاد المسافر"!

وهذه الغاية تقع في القلب من مقاصد كثيرة يرعاها الشرع، تتعانق مع حفظ النفس، وتزكيتها وحفظ العقل والبدن، بطرد ملالته، وتجديد نشاطه، واستنهاض عزيمته، ودعم تزكيته.

وابن عاصم فقيه مالكي يدرك ما يصنع، وهو مسبوق من فقهاء آخرين صنعوا قبله هذا الصنيع.

(٢/ ٢) وهـذا الكتـاب عنـد فحـص أمـر ***انتمائـه المعـرفي***، وبيـان جنـسه التصنيفي صالح لأن يتوزع على انتماءات معرفية كثيرة، متنوعة، وهـي ما نجملها في ما يلي:

أولًا: الاختيارات الأدبية:

إن هـذا الكتـاب في التحليـل المركـزي *"روضـة آداب"* ، أي نـص في الاختيارات الأدبية، والاختيار الأدبية جنس تصنيفي قديم جدًّا في التراث التـأليفي، ربـما يرجـع إلى بـدايات القـرن الثـاني الهجـري في ميـادين مختلفـة استـأثر بها الـوعظ، والقـصص في ظاهر ما وصـل إلينـا، ثـم شـاع أمرهـا في الأدب لأغراض نفسية، وتهذيبية في الأساس.

والكتـاب مـسبوق في بيئتـه الأندلـسية بأمثـال لـه، ولعلنـا لا نتجـاوز إن قررنـا أن الفقـرة التي نقلناهـا للدلالـة على غاياته تتضمن عنوانـات عدد مـن هـذه المـصادر الـسابقة عليـه، ولعلـه قـصد إلى سـوقها بالإشـارة إلى جـزء مـن عبارات عنواناتها، وهي:

١- بهجـة المجـالس ***وأنـس المجـالس***، وشـحذ الـذاهن والهـاجس، لابـن عبـد الـبر النمـري القرطبـي، ت ٤٦٣هـ (والعبـارة الـواردة في المقدمـة هـي: أنس المجالس).

٢- تحفـة القـادم، لابـن الأبـار، ت ٦٥٨هـ (والعبـارة الـواردة في المقدمـة هي: تحفة القادم).

٣- زاد المسافر، لغير واحد، لعل أشهرهم، العطار الهمذاني، ت ٥٥٩هـ (والعبارة الواردة في المقدمة هي: زاد المسافر).

ثانيًا: الأجوبة المسكتة:

وهذا النوع التصنيفي استقل في المشرق بالتأليف، كما نرى في كتاب ابن أبي عون، ت٣٢٢هـ: الأجوبة المسكتة.

ثالثًا: النوادر والأخبار العجيبة الغريبة.

رابعًا: معجم في الوصايا والحكم.

خامسًا: معجم في أمثال العامة، وقد رتبه ألفبائيًّا على أوائل الحروف في الأمثال.

سادسًا: التاريخ الاجتماعي للعرب المشارقة والأندلسيين:

إن ما تضمنه هذا الكتاب من الحكايات والنوادر والأخبار والأجوبة المفحمة، يمثل مادة خصبة جدًّا للتحليل الاجتماعي للمجتمعات العربية في أزمان تلك النوادر والحكايات والأخبار والأجوبة في مستويات كثيرة تتعلق بنمط الحياة، والسلوك والتطور اللغوي، والغذائي وغيرها.

سابعًا: التاريخ العام والسياسي:

إن هذا الكتاب بما تضمنه من أخبار لعدد من السياسيين، والأحداث يمكن أن يمثل مرجعًا ثانويًّا لكثير من تراجم الشخصيات، ولكثير من الأحداث التي رواها.

إن هذا الكتاب بتحليل بنائه المكون من ستة أقسام (أو حدائق) من جانب، وبتحليل الوظائف المتوقعة منه من جانب آخر- صالح لأن يصنف وفق انتماءات معرفية كثيرة أخرى.

وهذه الانتماءات المعرفية التي رصدها المبحث هنا جاءت خاضعة لهذين المعيارين المذكورين، وهما معيار بنائه، ومعيار الوظائف المتوقعة منه.

(٣) كتاب نزهة الأزاهر، لابن عاصم الغرناطي: دراسة في نقد التحقيق:

تعرض هذه الدراسة أو المراجعة النقدية لعمل المحقق الدكتور أبو همام في كتاب ابن عاصم الغرناطي، في ثلاثة مطالب، موزعة على الأقسام التي صدر بها عند نشره: وهي:

(٣/ ١) نقد عمل المحقق في المقدمة (دراسة النص).

(٣/ ٢) نقد عمل المحقق في تحقيق النص، وقراءاته، وإقامته، والتعليق عليه، وصناعة هوامشه.

(٣/ ٢) نقد عمل المحقق في صناعة الكشافات والفهارس.

تضمنت دراسة الدكتور أبو همام لكتاب ابن عاصم الغرناطي العناصر التالية:

أولًا: قصة التحقيق، وهي الظروف والملابسات التي واكبت تحقيق الكتاب إلى زمان صدوره ونشره، وتتضمن قصة النسخ المعتمدة في تحقيقه.

ثانيًا: طريقة التحقيق، وهي بيان الإجراءات التي اتبعها المحقق في تحقيق كتابه، وقد تبنى المحقق وجهة نظر التقاليد العربية في عدم العناية الكبيرة بفروق النسخ التي لا فائدة منها، يقول (ص ١٦): "ولم نشأ أن نقف عند اختلاف النسخ إلا إذا كان في الاختلاف فائدة نقدرها، وكان فيه إضافة، وأهملنا ما يكون إتخامًا للهوامش".

ثالثًا: بيان توثيق عنوان الكتاب (توثيق ماهية النص) اعتمادًا على أدلة خارجية وداخلية، ولغوية، فقرر ترجيح حدائق الأزاهر؛ لموافقة السجعة في: النوادر! (ص ١٨).

رابعًا: بيان موجز سريع لانتماء الكتاب المعرفي، فهو كتاب في الأدب بالمعنى العام؛ أي: الأخذ من شيء بطرف! (ص ١٨).

خامسًا: تفسير رواية ابن عاصم الغرناطي عن المشارقة تفسيرًا سياسيًّا حضاريًّا موفقًا، يقول (ص ٢١): "ويضاف إلى ابن عاصم سببًا آخر ... لأن صاحبنا ألف كتابه ورياح الخطر تحدق بآخر حصن إسلامي في الأندلس، وعلى الغرناطيين أن يتمسكوا - ما أيتح لهم ذلك - بكل ما يربطهم بالقلب الإسلامي في المشرق"!.

سادسًا: بيان مصادر الكتاب، وقد جاءت جميعًا كتب أدب واختيارات أدبية، ودواوين شعرية.

سابعًا: تأثير كتاب حدائق الأزاهر في الأدب الإسباني.

ثامنًا: كلمة نقدية ترصد ما كشف عن المحقق في نشرة نقدية سابقة للكتاب، نشرها الدكتور عفيفي عبد الرحمن، سنة ١٩٨٧م يمكن أن تحمل عنوان: بين نشرة الدكتور أبو همام ونشرة سابقة، شغلت صفحتين (٣٣ – ٣٤).

تاسعًا: ترجمة قصيرة موجزة جدًّا للمؤلف ابن عاصم الغرناطي تضمنت ميلاده سنة ٧٦٠هـ ووفاته سنة ٨٢٩ هـ، وما برع فيه من النحو والمنطق والفقه، وبعض كتبه.

وفحص مقدمة المحقق يكشف عن مجموعة من النواقص يمكن الدلالة عليها فيما يلي:

١ – الانتماء المعرفي للنص:

قرر المحقق أن كتاب ابن عاصم كتاب ***في الأدب بمعناه*** العام، وهو بيان صحيح لانتمائه المعرفي، يحتاج إلى فضل بيان، يلتمس أدلة صحته من عنوانه، ومقدمته، وفحص مصادره، وعنوانات أبوابه الداخلية، وهذه الأدلة جميعًا قائدة إلى الإقرار بأن الانتماء المعرفي للكتاب دائر في فلك السبعة الانتماءات السابقة هنا وفي المركز منها أنه كتاب في المختارات الأدبية.

٢– تراث المصنفات التي في حقل الكتاب المعرفي:

تقرر أن كتاب ابن عاصم كتاب في المختارات الأدبية، أو هو موسوعة أدبية موجزة، ومن المهم جدًّا في علم تحقيق النصوص التراثية افتتاح

الدراسة بين يدي النص المحقق بصناعة قائمة لتراث الفن مظلة الكتاب المحقق.

وقد سبقه ولحقه عدد من الكتب في الاختيارات الأدبية، من مثل:

أ- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ت سنة ٣٢٧هـ.

ب- كتاب المجالس والمسايرات، للقاضي النعمان بن محمد، ت ٣٦٣هـ.

ج- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، ت ٤١٤هـ.

د- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لابن عبد البر النمري القرطبي، ت ٤٦٣هـ

هـ- الكشكول، لبهاء الدين العاملي، سنة ١٠٣١هـ.

وهذه قائمة نوعية موجزة دالة على ما كنا نريده، لكي يتسن للدارس المعاصر فحص سهمة كتاب ابن عاصم الغرناطي في ميدانه، ولاسيما أن نفرًا من فقهاء الأندلس وقضائها وردوا هذه الطريق.

٣- بنية النص:

لقد مرّ المحقق سريعًا على مكونات النص، وبنائه، ولم يحدثنا عن معمار النص (أبوابه/ وفصوله) وترتيبها، والغرض من هذا الترتيب.

ولم يقف عن طريقته في معالجته معلومات كل باب وفصل، وطريقة التصنيفية، وطريقته في الاستشهاد، والتعليق.

وقد مرّ على مصادره، وكشف عنها (ص ٢٥)، ولم يتكلم عن أنواعها، وتقييمها وطرائق ابن عاصم في النقل عنها، ولا كشف عن وظائف هذا النقل المختلفة.

وقد تلخصت وظائف المصادر التي اعتمدها ابن عاصم فيما يلي:

١- الوظيفة البنائية التكوينية، فقد نقل عن الجاحظ في كتبه المختلفة، والحصري في زهر الآداب، والتالي في الأمالي وغيرهم من أجل بناء كتابة تكوين مادته.

٢- الوظيفة التدعيمية الاستدلالية التي تؤكد صحة ما يورده من نصوص ومعلومات.

٣- الوظيفة الاستدراكية التي يستثمر فيها النقل من هذه المصادر؛ لتكملة نصوصه وأخباره وحكاياته.

رابعًا: مقاصد الكتاب:

وقد ظهر من فحص غايات التصنيف أن ثمة مقاصد ظاهرة نص عليها المصنف في مقدمة تمثلت في خدمة المقاصد التالية:

١- مقصد حفظ العقل، بتجديد موارده وتنويعها.

٢- مقصد حفظ النفس بطرد الملالة عنها، والترويح عنها، وجلب التسلية لها وتزكيتها.

٣- حفظ البدن بمحاصرة أسباب السآمة والكآبة وتجديد نشاطه.

٤- حفظ العمران وترقيته بالتسلية عن الإنسان مصدر التنمية الأساسي.

وهذه المقاصد مقصودة تهدف إليها مجموعة الوظائف التي يسعى إلى تحقيقها الكتاب وصاحبه، وهي مقصودة بالنظر إلى علم ابن عاصم وفقهه.

خامسًا: ترجمة المؤلف/ المصنف:

ظهر أن الدكتور أبو همام ذكر ميلاد ابن عاصم ووفاته وبعضًا مما برع فيه وبعضًا مما تركه من آثار.

وعلم تحقيق النصوص يفرض على المحقق صناعة ترجمة وافية لصاحب النص، ولاسيما إذا لم تكن ترجمته متداولة، كما هو الحال مع ابن عاصم الغرناطي، وهو أبو بكر بن عاصم القيس المالكي، محمد بن محمد بن محمد، ولد سنة ٧٦٠ﻫ وتوفي سنة ٨٢٩ﻫ، فقيه مالكي، ولد في غرناطة، تولى قضاءها مدة.

ومن كتبه:

١- تحفة الحكام (في الفقه المالكي) أرجوزة تسمى بالعاصمية.

٢- حدائق الأزاهر (موضع هذه القراءة).

٣- أرجوزة في الأصول.

٤- أرجوزة في النحو.

٥- أرجوزة في القراءات.

(انظر في ترجمته: شجرة النور الزكية، لمخلوف/ ونيل الابتهاج للتنبكتي/ والأعلام للزركلي ٧/ ٤٥ ومصادر أخرى بالهامش).

سادسًا: الوصف المادي للنسخ المعتمدة.

ذكر المحقق (ص ١٤) ثلاث النسخ التي اعتمدها في تحقيق الكتاب، وهي:

١- نسخة دير الإسكوريال (س).

٢- نسخة دار الكتب المصرية (د).

٣- طبعة فاس الحجرية (ح).

ولم يذكر خصائص خطها، ولا ما تميزت به كل نسخة، ولا تملكاتها، أو تاريخ النسخ ... إلخ.

سابعًا: نقص التوسع في نقد النشرات السابقة:

عرفنا مقدمة الدكتور أبو همام أن كتاب ابن عاصم نشر قبله ثلاث مرات، وهي:

١- نشرة جزئية اقتصرت على نشر حديقة الأمثال العامية نهض بها الدكتور عبد العزيز الأهواني، ونشرها في الكتاب التذكاري للدكتور طه حسين.

٢- نشرة كاملة هي الطبقة الحجرية بفاس (بلا تاريخ).

٣- نشرة كاملة بتحقيق الدكتور عفيفي عبد الرحمن، سنة ١٩٨٧م.

والمتفق عليه أن إعادة تحقيق ما سبق نشره محققًا يلزمه وجود مسوغات علمية ظاهرة، وهي متوافرة هنا حقًّا، ولكن كان من الضروري التوسع في نقد هذه النشرات؛ لبيان أهمية صدور النشرة النقدية الخاصة بالدكتور أبو همام.

لقد توافر للدكتور أبو همام نسختان لم يتوافر للدكتور عفيفي عبد الرحمن، وإن كان تحصل على نسخة مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، وهي مما لم يتسن للدكتور أبو همام الحصول عليها.

وما قرره الدكتور أبو همام (ص ٣٤) من أن "التقصي غير وارد وغير مطلوب" غير صحيح، ولاسيما عند مواجهة المجتمع العلمي المعاصر بطبعة جديدة من كتاب سبق أن صدر كاملًا بتحقيق علمي.

إن صدور طبعة فارس الحجرية غير مانعة من إعادة تحقيقه؛ لأنها عند الفحص نسخة أخرى أشبه بالمخطوطة.

وصدّر القسم الخاص بالأمثال العامة غير مانع من تحقيق الكتاب كاملًا، والإفادة من عمل الدكتور عبد العزيز الأهواني الذي كان حجة في دراسات عامية الأندلس.

ثامنًا: بيان منهج التحقيق:

توسع الدكتور أبو همام في بيان إجراءات التحقيق، وذكر أنه لم يتخذ أصلًا، وسيأخذ بالأوفى، وسيعتمد الثلاث النسخ مرجعًا، وهو ما يعرف باسم منهج النص المختار.

(٣/ ٢) نقد عمل المحقق في تحقيق النص وقراءته وإقامته والتعليق عليه، وصناعة هوامشه.

يرى الدكتور أبو همام أن الغاية من التحقيق كامنة في (ص ١٦) "إخراج النص قريبًا من الدقة، أو مما وضعه المؤلف".

وقد وقع لي بعض الملاحظ على تحقيق هذا الكتاب، يمكن رصدها كما يلي:

أولًا: غياب الضبط بصورة عامة، ولاسيما في كثير من المواطن التي من المهم ضبطها.

ثانيًا: عدم مراجعة نصوص الكتاب المختلفة على المصادر المماثلة في فنه أو مجاله.

ثالثًا: ورود نصوص كثيرة لم يخرجها من مصادرها الأصيلة، ولاسيما في الشعر، لأصحاب الدواوين.

(ص٦٩/ هـ١،٣٣/ هـ٢) وثمة ملاحظ أخرى تفصيلية، نوردها مقرونة بذكر صفحات ورودها، كما يلي:

الصفحة/ السطر: الملحظ: تصحيحه:

ص ٥٥/ ١٣ أدرك ميا! أدرك مي؛ لأنه اسم علم على امرأة!

ص ٦٧/ ١٨ تغالوا صدقات النساء! لعل الصواب: تغالوا [في] صدقات النساء.

ص ٦٩/ ١ تنق بلا شيء (بتشديد الهمزة والصواب بتنوين الهمزة المكسورة! وكسرها).

ص ١٢٠- ١٢٥ وهو الباب الذي روى فيه ابن عاصم الغرناطي نوادر الصحابي نعيمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يخرج المحقق شيئًا منها، وفيها كتاب مستقل هو: المراح في المزاح، لبدر الدين الغزي، ت ٩٨٤م، وهو منشور محقق، حققه الدكتور السيد الجميلي، مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

ص ١٥٧/ ٨ وقالت له: "نظر ما يقوم به ... أسقط المحقق كلمة (أيرك) من النص

وينكحه غيرك! والمستقر في التحقيق عدم إسقاط شيء من النص!

ص ١٩٦/ ٢٠ فلقي جارية من أجمل النساء. وأقلهم [هكذا] زاد [هكذا] بين معكوفين؛ للدلالة على خطأ في النص. والصواب التعليق عليها في الهامش!

ص ٢٠٢/ ١٣ يقول فيها بعد أبيات ولم يذكر المحقق أبياتًا، والصواب أن يزيده البيت الدال على النكتة في الحكاية، وهو البيت:

إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل!

ص ٢٠٧/ ١٢ واشترى رجل ثنا [هكذا]. الصواب التعليق في الهامش، ولو كتبه:

شيئًا، أو جبنا لكان أقرب للفهم!

ص ٢٧٠/ ٨ لو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك. والأولى أن يزيد بين المعكوفين

وذل في قلب غيرك [؟]. عبارة [لكفى] لتتميم العبارة.

إن هذه الملاحظ مجرد عينة على ما وقع لي من قراءة النص. وهي ملاحظ دالة على أن الدكتور أبو همام لو كان منح التحقيق جهدًا أوفر مما بذله له لكان له معه شأن آخر، ولاسيما فيما يخص نصوص الأدب والحضارة الأندلسية.

(٣/ ٣) نقد عمل المحقق في صناعة الكشافات أو الفهارس:

للكشافات أو الفهارس في الأعمال المحققة قيمة وأهمية خاصة، استقرت في علم تحقيق النصوص التراثية.

وقد صنع الدكتور أبو همام خمسة كشافات أو فهارس، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأشعار.

٤- فهرس الأرجاز.

٥- فهرس الأعلام.

وقد وقع لنا الملاحظ التالية على صنيعه في هذه الكشافات أو الفهارس:

أولًا: عدم ذكر أرقام السورة في فهرس الآيات.

ثانيًا: نقص في كشاف الأشعار من جهة عدم ذكر اسم الشاعر صاحب البيت، واختصار أسماء البحور في حروف، ووضعها قبل القوافي!.

ثالثًا: فصل الأبيات من البحور المختلفة عن الأرجاز بلا مسوغ علمي، ولعله تأثر بما كان يصنعه العلامة عبد السلام هارون في تحقيقاته.

رابعًا: كان الكتاب في حاجة إلى كشافات للألفاظ الأندلسية العامية، والألفاظ الأعجمية.

(٤) خاتمة:

كانت هذه الدراسة تحية ووفاء لرجل من شيوخ العلم بالعربية، وأدبها، وحضارتها، ولاسيما في الجانب الأندلسي من هذا الأدب والحضارة.

وقد فحصت النص الوحيد الذي حققه المرحوم الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام) وهو كتاب: حدائق الأزاهر، لابن عاصم الأندلسي الغرناطي (ت ٨٢٩هـ). وهو وثيقة مهمة على حقبة من أخطر مراحل التاريخ الأندلسي.

وقد كشفت عن النتائج التالية:

١- الدوران في فلك الاختصاص العلمي المركزي.

٢- تنوع الأسباب الداعية إلى العناية بتحقيق هذا الكتاب (قومية/ وذاتية/ ومعرفية مهنية).

٣- التوقف أمام نقد عمل المحقق الكريم من جهة:

أ- عمله في المقدمة ودراسة النص (الوفاء لعناصر دراسة النص بشكل مبدئي).

ب- عمله في تحقيق النص، وقراءته، وإقامته، والتعليق عليه، وصناعة هوامشه (التقليل من فروق النسخ).

ج- عمله في صناعة الكشافات أو الفهارس.

٤- الكشف عن منهج تحقيق الكتاب، وهو: منهج النص المختار.

٥- الوفاء لمفهوم أداء النص صحيحًا أقرب إلى مراد مؤلفه.

٦- الوعي بمحددات إعادة تحقيق النصوص التراثية التي سبق نشرها محققة (وجود نسخ مخطوطة جديدة/ نقص النشرات السابقة أو اجتزائها واكتفائها بنشر جزء من النص/ امتلاء النشرات السابقة بالأخطاء الكثيرة)

إن هذه الدراسة تكشف عن حقيقة، سبق الإعلان عنها هنا، وهي استقرار النظر إلى التحقيق العلمي للنصوص التراثية بما هو واحد من أهم ما ينبغي للمختصين في الميادين المعرفية المختلفة تحصيله بما هو واحد من أسس التكوين العلمي اللازمة من جانب، وخدمة لمجال الاختصاص العلمي، وترقيته بإمداده بالنصوص التراثية المنتمية له من جانب آخر.

رحم الله العالم الجليل الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، ورضي عنه؛ جزاء ما قدم للعربية، وأدبها، وحضارتها، وتراثها!.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**